

روايات عالمية للجيب
25
Looloo
www.dvd4arab.com
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
قصة : نيفيل شوت
ترجمة وإعداد :
د. احمد خالد توفيق
مدينة مثل أليس

روايات عالمية للجيب

سلسلة جديدة ، تقدّم لك أروع ما يزخر به الأدب العالمى ، فى مختلف صنوفه ..

من الألغاز البوليسية إلى الرواية الرومانسية ..

من عالم المغامرات إلى آفاق الخيال ..

من الفروسية إلى دنيا الأساطير ..

ومن الشرق إلى الغرب ..

وإلى الحضارة ..

وإليك ..

د. نبيل فاروق

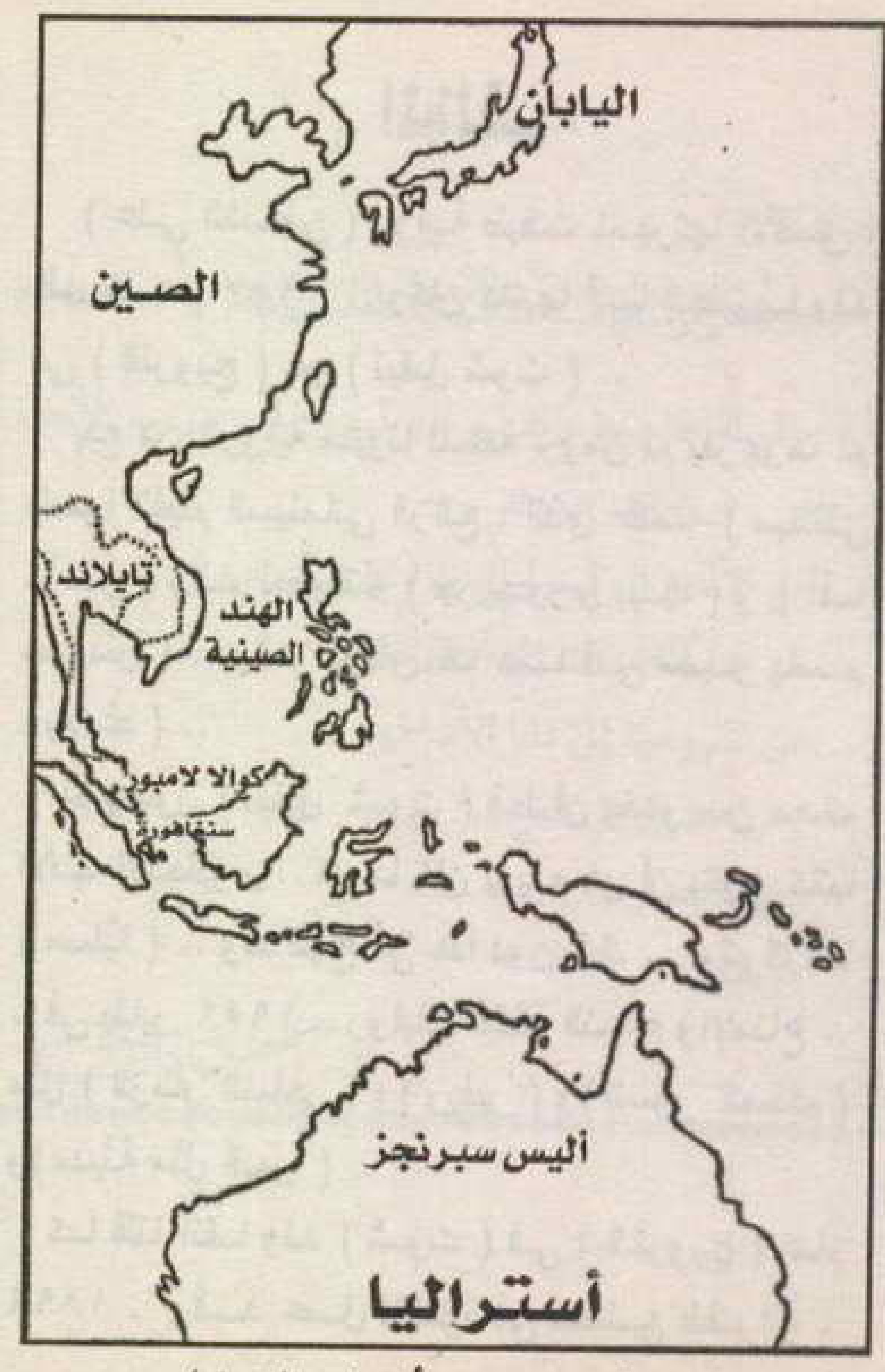
المؤلف

(على الشاطئ) رواية طبقت شهرتها الآفـاق ، ظهرت عام ١٩٥٧ .. وكان كاتبها أديبًا إنجليزيًـا ولـد فى (النرويج) هو (نيفيل شوت) ..

بيع من الرواية مليونا نسخة ، ومن لم يقرءوها لم ينسوا الفيلم السينمائى الرائع ، الذى قدمـه (ستانلى كرامـر) وقـام ببطولتـه (جريجورى بيـك) و (آفـا جاردنر) .. وقد عرض هـا هنـا فـى مصـر باسـم (بلا غدٍ) ..

لم يحاول (نيفيل شوت) قط أن يغدو من معالم الأدب الإنجليزى .. كل ما كان يريده هو أن يكون كاتبًا (مسليًا) .. وقد نجح فى هذا دون شك .. وترك لنا ـ فى يناير ١٩٥٩ ـ روايات فائقة النجاح والإمتاع .. مثل (الزمّار الساحر) و(ريفير) و(السور المحكم) و(مدينة مثل أليس) ..

كما قلنا آنفًـا ولـد (شوت) فـى (النرويج) عام ١٨٩٩ .. وقـد عمـل لفتـرة فى مصنـع طائرات ،



(خريطة تبين مسرح أحداث القصة)

وهو ما ظهر فيما بعد حين كتب راويته (الأزمـة) .. حيث تظهر خبرته السابقة فى عالم الطائرات .. بل وخبرتـه كمهندس رادار سابق ، أضـاف اختراعـات لا بأس بها إلى هذا العلم .. وقد ظهرت هذه الخبرة أكثر فى رواية (لا طريق) ، التى تصور طائرة تعبر المحيط ، وقد أوشكت على السقوط .. يصف لنا كل هذا فى جو متوتر يقطع الأنفاس ..

والرواية التى بين يديك الآن ، تحكى عن ورطة مجموعة من النساء والأطفال ، وقعوا فـى قبضة اليابانيين فى (الملايو) فى عام ١٩٤٠

وهى تيمة عالجها الأدب الإنجليزى كثيرًا ، كما فـى رواية (شجرة الجاكاراندا) لـ (بيتس) و(قصـة الدكتور واسيل) .. لكن (شوت) يقدمها هنا فـى مزيج ممتع يجمع بين التشويق والعاطفة ..

دعونا نطالع الرواية معًا لنعرف ما هو أكثر ..

د/أحمد خالد

★ ★ ★

١ ـ حياة (جان) المبكرة ..

ولدت (جان باجت) فى (الملايو) عام ١٩٢١ ، فى وقت كان البريطانيون يحكمون (الملايو) فيه .. وكان بعضهم موظفين حكوميين ، وآخرون كانوا يعملون فى الجيش أو الشرطة أو المدارس والمستشفيات .

إلا أن أكثر البريطانيين فى (الملايو) كانوا يمارسون التجارة ، وكانت هناك صناعات مهمة كالتعدين فى مناجم القصدير أو مزارع المطاط ..

كان أبو (جان) يدير مزرعة مطاط كبيرة فى جنوب (بيراك) ، على بعد مائة ميل من العاصمة (كوالا لامبور) .

ولقد عاش هناك مع زوجته وأسرته .. وكان هناك طفلان لديه ؛ صبى يدعى (دونالد) وفتاة تدعى (جان) ، تصغر أخاها بثلاثة أعوام ..

تربى الطفلان فى صغرهما على يدى أمه .. وهى امرأة من (الملايو) كانت تحدثهما بلغتها ، لذا تعلم الطفلان لغة (الملايو) والإنجليزية معًا ..

وفى البدء كانت مسز (باجت) هى المسئولة عن تعليم الطفلين ، ثم أرسلت ابنها (دونالد) إلى المدرسة فى (انجلترا) حيث بلغ سن الثالثة عشرة .. وبرغم كون (جان) فى العاشرة وقتها ، فقد ذهبت كذلك إلى (انجلترا) ..

وأقام الطفلان مع جديهما فى (ساوث هامبتون) ، وهى مدينة كبيرة ، على بعد ثمانين ميلاً من (لندن) ..

بعد عامين مرض الجدّان ، واضطرت مسز (باجت) إلى العودة إلى انجلترا ، وابتاعت منزلاً فى (ساوث هامبتون) عاشت فيه مع طفليها ..

توفى والد (جان) فى حادث سيارة ، حين كانت فى الثالثة عشرة من عمرها كان فى طريق العودة إلى داره ليلاً بعد عمل طويل .. ويبدو أنه كان منهكًا وغلبه النعاس ، ففارقت السيارة الطريق ، واصطدمت بشجرة ..

لكن مسز (باجت) لم تقلق على مستقبلها ، فقد دفعت لها الشركة معاشًا ، ووعدتها بأن تجد وظيفة لـ (دونالد) حين تنتهى دراسته ..

كان (دونالد) و(جين) طفلين عاديين جدًا لا يتميزان بذكاء خاص .. لكنهما كانا يتميزان بشىء

واحد فحسب هو إجادتهما للغة (الملايو) ، وكانا يتحدثان بها على سبيل الدعابة ، وكلغة سرية بينهما لا يفهمها سواهما ..

إلا أنهما وجدا فيما بعد أسبابًا وجيهة لاستعمال هذه اللغة ، إذ إن (دونالد) كان راغبًا فى العودة ليعمل لدى شركة المطاط ..

وراح يتدرب على لغة الملايو مع (جان) فى المنزل ، حتى عاد إلى (الملايو) عام ١٩٣٧ حينما كانت (جان) فى السادسة عشرة من عمرها ..

وفى العام التالى التحقت (جان) بكلية التجارة فى (ساوث هامبتون) حيث درست الاختزال والطباعة على الآلة الكاتبة .. ثم عملت كاتبة اختزال لمدة سنة ..

وفى ذلك الوقت أجرت أمها بعض اتصالات لتعيدها إلى (الملايو) .. فإن شركة المطاط فى (كوالا لامبور) كانت بحاجة إلى سكرتيرات ، وظنت أن (جان) تناسب الشركة لأنها تجيد لغة (الملايو) ..

وبالفعل كتبت الشركة إلى مسز (باجت) تعلنها بمنح (جان) وظيفة .. وكان هذا هو العام ١٩٣٩

وفى سبتمبر غزت (ألمانيا) (بولندا) وبدأت الحرب العالمية الثانية ..

لكن (جان) لم تغير خططها .. ظنت أن (الملايو) مكان آمن لأن القتال كله فى أوروبا ..

ولحسن الحظ استطاعت أن تركب سفينة إلى (الملايو) ، فوصلتها دون مشاكل فى ديسمبر ١٩٣٩

أحبت حياتها فى (الملايو) ، حيث عاشت فى (كوالا لامبور) .. تقطن غرفة فى فندق تملكه امرأة إنجليزية ، وأغلب من يقيم بالفندق من النساء الموظفات ..

كان لديها مكتب فى وسط المدينة ، ولها أصدقاء كثيرون .. تعمل بجهد فى الصباح ، وتلعب التنس بعد الظهر ، وتذهب للحفلات والمراقص مساء ..

كان هناك دومًا ما يمكن الاستمتاع به ..

وكانت عارفة بمستقبلها جيدًا .. ستتزوج رجلاً يعمل فى منجم قصدير أو مزرعة مطاط .. وتعيش حياة سعيدة كأمها ..

إن الأمر لا يختلف عن الحياة فى انجلترا .

لكن الطقس هنا أكثر دفئًا والشمس أكثر إشراقًا ..

سيكون لديها خدم كثيرون ، يعينونها فى العمل المنزلى .. يا لحظها !

لكن كل شىء تغير فجأة ..

وفى ١٩٤١ دخلت (اليابان) الحرب إلى جانب (ألمانيا) ..

★ ★ ★

٢ ـ (جان) تغادر (كوالالامبور) ..

غزت (اليابان) (منشوريا) وهاجمت الصين والهند الصينية ..

بعدها قرر اليابانيون أن يغزوا (الملايو) وبعدها يتجهوا إلى (أستراليا) و(نيوزيلندا) ..

ولم يصدق البريطانيون فى (الملايو) أن يكون اليابانيون أقوياء ، إلى حدّ أن يقهروا كل هذه البلدان ..

وفى (كوالا لامبور) ظل البريطانيون يمارسون عملهم ومرحهم بالطريقة ذاتها ..

إلا أن بعض الشباب تطوعوا للحرب ، وتدربوا فى الجيش على سبيل التسلية .. مما أتاح لهم ارتداء الثياب العسكرية الأنيقة فى الحفلات ..

إلا أن (اليابان) غزت الساحل الشرقى الشمالى لـ (الملايو) قرب مدينة تدعى (كوتا بارو) ، وهى تبعد ثلاثمائة ميل عن (كوالا لامبور) .. وكانت هناك تلال وعرة ، وغابة كثيفة بينهم وبين العاصمة ، مما جعل القوم يشعرون بالأمن ..

تم إرسال سفينتين حربيتين من انجلترا لمحاربة اليابانيين ، لكن الطائرات اليابانية الحربية أغرقتهما فورًا ..

وطلبت الحكومة البريطانية من رعاياها أن يتركوا البلاد ويرحلوا إلى (سنغافورة) ، التى تبعد مائتى ميل شمالاً .. لكن أكثر الرعايا لم يؤمنوا بأنهم فى خطر .. فالحرب ما زالت بعيدة جدًا ..

ثم تحرك اليابانيون بسرعة جنوبًا بطائراتهم ليعبروا التلال .. وفى النهاية أدرك البريطانيون ما يتهددهم .

وفى ذات يوم استدعى مستر (ميريمان) رئيس (جان) مرءوسته إلى مكتبه .. وقال لها :

ـ « (جان) .. إن لدى أنباء سيئة لك .. إن اليابانيين فى (إيبوه) الآن على بعد مائة ميل من هنا .. ولا يمكن أن نفقد وقتًا ..

لسوف نغلق المكتب الآن ، وعليك أن تقصدى المحطة ، لتركبى أول قطار إلى (سنغافورة) .. »

سألته بدهشة :

ـ « (سنغافورة) ؟ وماذا أفعل هناك ؟ »

ـ « اذهبى إلى مكتبنا هناك .. سيجدون لك مكانًا على ظهر قارب تعودين به إلى (انجلترا) .. »

ـ « هل الأمر بهذه الخطورة ؟ »

ـ « ربما أخطر .. لقد أخبرت كل الفتيات ، ولسوف تجدينهن فى المحطة ، يمكنك الرحيل معهن ... »

فارقت (جان) المكتب ، فاتجهت إلى المصرف ، حيث سحبت كل مدخراتها وهى ستون دولارًا ..

ثم اتجهت إلى الفندق فحزمت أشياءها وذهبت إلى المحطة ..

فجأة تذكرت بعض الأصدقاء الذين يعيشون على بُعد عشرين ميلاً شمالى المدينة .. وكانت متأكدة أنهم لم يرحلوا .. سيسرهم أن تساعدهم فى الرحيل .. »

لذا لم تركب القطار .. بل استقلت الشاحنة إلى (باتو ـ تازيك) ..

كان أصدقاؤها هم آل (هولاند) .. (بيل) و(إلين هولاند) .. وكان (بيل) مدير مكتب تصدير ، يعيش



ويدأت فى لصق شريط بلاستر على ركبة الطفلة ..

فى كوخ جوار المنجم مع زوجته وأطفاله الثلاثة ..

كان لهما ابنان هما (فريدى) و (روبرت) وفتاة تدعى (جين) . تتراوح أعمارهم من سبع سنوات إلى عشرة أشهر ..

وصلت إلى (باتو - تازيك) ظهرًا .. فوجدت (إلين) وحدها مع الأطفال ، والفوضى تعمّ المكان .. حقائب على الأرض وثياب مبعثرة فى كل موضع .. وقد تعثرت (جين) وجرحت ركبتها .. وكانت تبكى ألمًا ، بينما الأم تحاول أن تطهو طعام الغداء ، فلما رأت (جان) ابتسمت ..

هتفت (إيلين) :

- « عزيزتى (جان) ! ما أسعدنى برؤيتك ! هناك عمل كثير ، لكنى مرتبكة والأطفال جياع .. »

قالت (جان) :

- « واصلى إعداد الطعام وسأعنى بالأطفال .. »

وبدأت فى لصق شريط بلاستر على ركبة الطفلة .. وسرعان ما صار الطعام جاهزًا وبدءوا يأكلون ..

تساءلت (جان) :

- « أين (بيل) ؟ »

قالت (إيلين) :

- « فى (كوالا لامبور) .. لقد ذهب ليبتاع بعض الإطارات لسيارتنا القديمة .. فنحن لم نستعملها منذ زمن .. إن محركها يعمل لكن إطاراتها بالية .. »

- « وماذا عن سيارات وشاحنات الشركة ؟ »

- «لقد ذهبت جميعًا .. أخذها الجيش منذ أسابيع .. إن سيارتنا القديمة هى الشىء الوحيد الباقى .. »

- « متى رحل (بيل) ؟ »

- منذ ثمانى ساعات .. وقد بدأت أقلق عليه .. »

- « سيعود فورًا .. سيكون على ما يرام .. »

- « أشعر بالسرور وأنت معى .. هل تبقين هنا ؟ »

- « طبعًا .. »

كان الظلام قد دنا حين عاد (بيل هولاند) .. وقد بدا عليه الإنهاك والحرّ .. وأسعده أن يجد (جان) .. احتسى جرعة كبيرة من الماء المثلج وقال :

- « كان علىّ أن أمشى خمسة الأميال الأخيرة .. فالحافلة لا تدنو أكثر .. »

- سألته (إيلين) :

- « هل ظفرت بالإطارات ؟ »

- « لا .. لقد صادر الجيش كل إطار فى (كوالا لامبور) .. »

- « وماذا عساك فاعلاً ؟ »

- « هناك حافلة تغادر إلى (سنغافورة) فى الثامنة صباحًا ، وسنجد مقاعد فيها .. سنكون فى (سنغافورة) فى مثل هذا الوقت غدًا .. »

- « لكن كيف نصل إلى (كوالا لامبور) ؟ »

- « بالسيارة .. سنمشى على الإطارات القديمة .. إن المسافة عشرون ميلاً فحسب ... فلو قدنا بحذر سنصل هناك .. »

سألته (جان) :

- « لم لا نتحرك الليلة ؟ إن الطقس بارد يسمح بنوم الأطفال فى السيارة .. »

- « لن نستطيع .. هذا ليس مأمونًا .. فالجيش لن يسمح لأحد باستعمال الطرق ليلاً .. إن الحواجز فى كل مكان وسيطلقون الرصاص على كل من يرون .. »

قالت (جان) :

ـ « إن الأمور تسوء .. يجب أن نرحل مبكرًا غدًا .. فلنحزم الآن كل شىء ، حتى لا نضيع وقتًا فى الصباح .. »

سألته (إيلين) :

ـ « متى نصحو من النوم ؟ »

ـ « فى الرابعة صباحًا ليكون عندنا وقت لإلباس الأطفال ثيابهم .. وتناول إفطار بسيط .. »

ـ « حسن .. لنحزم الحقائب الآن .. »

ودخلوا الفراش بعد ما استعدوا للغدَ ..

عند منتصف الليل سمعت (جان) (بيل هولاند) ينهض ويخرج من الدار .. كان واقفًا ينظر إلى الغابة ..

نهضت من فراشها وأزاحت أستار (الناموسية) ، وخرجت إلى الشرفة ، فوجدته واقفًا يصيخ السمع فى الظلام ..

ـ « ماذا هناك ؟ »

ـ حسبت أننى سمعت طلقات نارية من بعيد .. »

وقفا صامتين يصغيان ، لكنهما لم يسمعا سوى صوت الضفادع والحشرات ..

قال (بيل) :

ـ أتعشم أن يأتى الصباح سريعًا .. »

وعادا إلى الداخل ...

وفى تلك الليلة انتصر اليابانيون على البريطانيين ووصلوا إلى نهر (سليم) ..

كانوا الآن على بعد خمسين ميلاً لا أكثر ...

* * *

٣ ـ الرحلة إلى (كوانا بانونج) ..

نهضوا فى الصباح فجمعوا الحقائب ووضعوها فى السيارة ، ثم تعاونوا على إعداد الأطفال ..

صارت السيارة مليئة بطريقة مثيرة للقلق .. فبها ثلاثة بالغون وثلاثة أطفال ومتاع كثير جدًا .. فاضطر (بيل) للقيادة ببطء شديد ، حتى لا يرهق الإطارات العتيقة ، ولكن أحدها انفجر بعد ميلين ..

استعملوا الإطار الاحتياطى ، الذى كان أسوأ حالاً .. وبعد نصف ميل انفجر الإطار الاحتياطى بدوره ، فقرر (بيل) أن يستمر فى السير على (الجنط) الداخلى للعجلة برغم خطورة هذا ..

واستمرت العجلة ميلين ثم تحطمت .. كانوا على بعد خمسة عشر ميلاً من (كوالا لامبور) والساعة السابعة صباحًا .. أى أن أمامهم ساعة قبل اللحاق بالحافلة ، وهو وقت كاف .. لكن بشرط أن يجدوا سيارة أخرى فورًا ..

كان هناك بيتان على جانب الطريق ، فترك (بيل) الأسرة فى السيارة ، وهرع ليرى ما إذا كان بوسعه الحصول على عون ..

بحث عن سيارة أو شاحنة فلم يجد .. ولم ير أحدًا يمكن سؤاله ..

عاد للسيارة فوجد الجميع يشعرون بالظمأ والحرّ والأطفال يبكون ..

قال لهم :

ـ « لم أجد شيئًا .. يجب أن نمشى .. »

قالت (إيلين) :

ـ « لنعد أدراجنا .. إلى حيث الظلّ والماء .. فليس معنا ما يُشرب .. »

ـ « لكن أمامنا خمسة عشر ميلاً إلى (كوالالامبور) .. لنتجه إلى هناك لربّما وجدنا شاحنة أو سيارة .. »

ـ « ولربّما لن نجد .. من المستحيل أن نمشى كل هذه المسافة .. »

عادوا تاركين متاعهم فى السيارة ، وأغلقوا كل الأبواب .. وحمل كل منهم طفلاً ..

وحين وصلوا إلى الدار أخيرًا ، شربوا بعض المشروبات الباردة من الثلاجة واستلقوا على الأسرة ..

سمعوا صوت شاحنة تقف خارج الكوخ ، فهرعت (جان) لترى من ..

كان هذا ضابطًا شابًا ، يوقف الشاحنة ويسرع نحوها صائحًا :

ـ « ألم ترحلوا بعد ؟ كم منكم هنا ؟ »

قالت (جان) :

ـ « نحن ستة .. منهم ثلاثة أطفال .. »

كانت الزوجة و(بيل) قد خرجا من الكوخ وسمعا المحادثة .. فتساءل (بيل) :

ـ « وماذا عن متاعنا ؟ إنه فى السيارة على بعد ستة أميالٍ على طريق (كوالا لامبور) .. ألا تأخذنا هناك أولاً ؟ »

قال الضابط بصرامة :

ـ « نعم لا أستطيع .. إن الـ (جابس) على بعد عشرين ميلاً(*) .. سآخذكم إلى (بانونج) ولو كنتم

(*) (جابس) هو اختصار لكلمة Tapanese أى (اليابانيون) .. وكان الحلفاء يستعملونه فى الحرب .. كما كانوا يسمون الألمان باسم (فريتزات) .

محظوظين ستجدون قاربًا ذاهبًا إلى (سنغافورة) .. »

ركب الجميع على ظهر الشاحنة ، وقادهم الضابط عشرة أميال ، وهو لا يكفّ عن اصطحاب كل من يلقاه من الإنجليز ..

وصلوا إلى (بانونج) ظهرًا ، وقد صار عددهم أربعين رجلاً وامرأة وطفلاً ، بعضهم لم يتصوّر لحظة أن هناك خطرًا داهمًا ..

اقتادهم إلى مكتب مأمور المقاطعة ، الذى قابلهم وقد بدا القلق على وجهه .. ثم إنه قال للضابط :

ـ « خذهم إلى مكتب المحاسبات ، حيث يظفرون بالظلّ والراحة .. »

سأله الضابط :

ـ « هل لديك قارب بمحرك ؟ »

ـ « لا .. ليس لدىّ .. »

ـ « إذن كيف يرحلون ؟ »

ـ « لا أعرف .. ربّما استعملنا قوارب صيد .. »

وفى المكتب الظليل جلست (إيلين) مسندة ظهرها إلى الحائط ، وقد راح الصغار يلهون حولها .. فى حين اتجهت (جان) و (بيل) إلى المتاجر ليبتاعوا

بعض الطعام .. فقد تركوا كل شىء فى السيارة .. وبحثوا عن (ناموسيات) فلم يجدوا ..

اشترت (جان) بعض الإبر والخيط لنفسها ..

ووجدت حقيبة ظهر فابتاعتها .. ولم تكن تعرف أنها ستحمل هذه الحقيبة على ظهرها طيلة السنوات الثلاث القادمة ...

جلس الجميع فى الشرفة وتناولوا وجبة من البسكويت وعصير الليمون ..

فى الوقت ذاته كان المأمور يفتش عن قارب ..

وعند المساء تلقى مكالمة هاتفية من أحد رجاله فى الفنار .. كانت أنباء طيبة .. فالقارب المسمّى (أوسيرى) ـ وهو قارب كبير ذو محرك ، قادم عبر النهر ..

لم يحاول المأمور معرفة سرّ قدوم القارب .. إنه قارب سريع قادر على حمل اللاجئين على كل حال ..

اتجه للمرفأ وانتظر (أوسيرى) .. واستطاع أن يرى حشداً من الجنود على ظهره .. كانوا رجالاً قصيرى القامة فى ثياب رمادية مخضرة ..

كانوا يابانيين !

شعر بأسى شديد .. لقد استولى اليابانيون على (أوسيرى) .. ولسوف يعتقلون الجميع ها هنا .. وليس فى وسعه أن يفعل شيئاً ..

★ ★ ★

٤ ـ سجنـاء ..

وثب اليابانيون من القارب إلى الأرض ، فقبضوا على المأمور واقتادوه إلى المكتب ..

كانوا يتوقعون أن يجدوا بعض الجنود البريطانيين لكنهم لم يجدوا .. وحتى السائق الضابط لم يكن موجودًا .. فقد عاد بحثًا عن مزيد من البريطانيين ..

وفى المكتب وجدوا الأسر البريطانية فأسروهم .. وأمروا النسوة بأن يخلعن خواتمهن وساعاتهن وأخذوها وانصرفوا ..

بعد ساعة جاء ضابط يابانى ومعه جنديان يصوبان سلاحيهما نحو الأسر ، وراح بعض الأطفال ينشجون .. لم يكن أى واحد يدرى ما سيحدث ..

نظر لهم الضابط قليلاً ، ثم راح يتكلم فى إنجليزية مهشمة :

- « أنتم سجناء الآن .. عليكم الطاعة .. (إذا لاطاعة) .. جنودى يطلقون النار .. »

لم يقل أحد شيئًا فاستطرد :

- « ستبقون هنا الليلة وغدًا تذهبون إلى المعتقل .. »

سأله أحد الرجال :

- « هل يمكننا الحصول على أسرّة وناموسيات ؟ »

- « الجنود اليابانيون ليس لديهم أسرّة أو ناموسيات .. الأسرى مثل الجنود .. لا أسرّة .. لاناموسيات .. »

سأله رجل آخر :

- « هل لنا فى بعض الطعام ؟ »

- « الطعام غدًا .. الآن نوم .. »

وتركهم وانصرف ..

تمدد الأسرى على الأرضِ ليناموا .. كانوا منهكين لكن النوم كان مستحيلاً .. كانت الأرض صلبة والبعوض مفترسًا .. وظلّ الأطفال يصحون من نومهم باكين ، لأن أيديهم وأرجلهم تقرحت ..

أما البالغون فكان القلق يمنعهم من النوم ..

ماذا سيحدث لهم غدًا ؟

نهضوا من النوم متصلبى الأجساد .. ولم يكن ثمة طعام لذا التهموا ما ابتاعوه أمس من طعام محدود الكمية ..

وبعدما أكلوا شعروا بتحسن ضئيل ..

عند منتصف النهار ، جاء الضابط الياباني كابتن (يونياتا) يسألهم بعض الأسئلة .. واستجوب كل أسرة بدورها ، وهو يدون الإجابات فى كراسة مدرسية .. ثم قال لهم :

ـ « الرجال يذهبون للمعتقل اليوم .. الرجال يذهبون ظهرًا .. النساء والأطفال يبقون هنا .. »

كان الكبار يعرفون أن الرجال والنساء يذهبون إلى معسكرات مختلفة فى الحرب .. إلا أنهم تمنوا لو يبقون معًا ..

وودعت كل أسرة رجلها فى حزن مرير ..

أما (جان) فقد حاولت أن تحصل على بعض المراهم من أجل لدغات البعوض .. اتجهت إلى أحد الحراس وأشارت إلى اللدغات .. لكنه صوب سلاحه نحوها وأعادها إلى المكتب ..

فكرت فى طريقة أخرى .. كان هناك أطفال يلهون على بعد خمسين مترًا ، فأشارت لهم وخاطبتهم بلغة (الملايو) :

ـ « يا فتاة .. تعالى يا فتاة .. »



اتجهت إلى أحد الحراس وأشارت إلى اللدغات .. لكنه صوّب سلاحه نحوها وأعادها إلى المكتب ..

هرعت نحوها طفلة صغيرة فى الثانية عشرة من عمرها ..

ـ « ما اسمك ؟ »

ـ « (خليجة) .. »

قالتها الفتاة فى خفر »

ـ « الآن يا (خليجة) .. هل تعرفين هذا المتجر الصينى هناك ؟ »

ـ « نعم .. إنه (تشان ـ كوك ـ فوان) .. »

ـ « حسن .. اذهبى إلى الرجل وقولى له أن يحضر لنا لنبتاع منه بعض المراهم .. لو فعلت لأعطيتك عشرة سنتات .. »

هرعت الطفلة لتعود بالتاجر الصينى ، يحمل سلة ملأى بالمراهم ..

وتركه الجنود يمرّ فابتاعت (جان) ست أنابيب من المرهم ..

وابتاعت النساء الباقى ..

ثم جاء جندى يابانى بدلوين من حساء السمك المخفف ، والأرز المسلوق .. ولم تكن لدى الأسرى آنية ، لذا راحوا يأكلون كيفما اتفق .. بعضهم لم يظفر بشىء وبعضهم أكل كثيرًا ..

بعد الظهر جاء كابتن (يونياتا) مع جنده وأمر الرجال أن يصطفوا فى طابور للتحرك ..

ودّع الرجال زوجاتهم وأطفالهم .. ثم ابتعدوا ..

صار فى المعسكر الآن اثنان وثلاثون سجينًا منهم تسعة عشر طفلاً ..

وكان أصغر الأطفال رضيعًا وأكبرهم فى الرابعة عشرة من عمره ..

وكانت كل النساء متزوجات ، فيما عدا (جان) وفتاة أخرى .. وكانت (جان) الوحيدة التى تتحدث لغة (الملايو) ..

وفى الليل حصلوا على دلو آخر من حساء السمك ، لكنهم لم يكونوا جائعين ..

وفى الصباح طلبت إحدى النساء ـ وتُدعى مسز (هورسفول) ـ أن ترى الكابتن .. وتكلمت معه فى غضب قائلة :

ـ « كابتن .. نحن لا نستطيع النوم بهذا الشكل .. نحتاج إلى أسرّة وأغطية وناموسيات .. »

قال الكابتن :

- « لا أسرّة .. لا ناموسيات .. نساء اليابان لا يستعملن أسرّة .. »

قالت فى اهتياج :

- « لكننا بريطانيات .. لسنا حيوانات .. ولا نقبل النوم على الأرض .. »

نظر لها بشراسة .. وأمر جنديين أن يمسكا بذراعيها .. ثم صفعها على وجهها أربع مرات .. وصرخ :

- « امرأة سيئة ! »

وفى اليوم التالى جاء ليفتش عليهن .. فعادت تكلمه مرة أخرى فى شجاعة .. سألته بعض الماء للاستحمام ، فوافق على أن يرسل بعضه يوميًا .. وهكذا صار الاستحمام ممكنًا ، لكن غسيل الثياب ظل مستحيلاً ..

وفى البداية كن يملكن بعض المال ، لهذا استطاعت بعض الأسر الحصول على وجبة يومية مطهية ، لأنها لا تستطيع أكل الأرز ..

وكن يبتعن الصابون و(الكينين) ـ لزوم علاج الملاريا ـ من المتجر .. وبدأن يعتدن حياتهن ..

فى نهاية الأسبوع أصيبت أكثر الأسيرات بالزُحار (الدوسنتريا) .. وطيلة الليل ظل الأطفال يُحملون باكين إلى مكان قضاء الحاجة ..

حاول كابتن (يونياتا) مساعدتهم .. فزاد حصة الأرز ، وصرف لهم دلوًا من الشاى كل يوم ..

فى اليوم الخامس والثلاثين توفيت بالزُحار طفلة فى الثامنة من عمرها .. كانت تنام قليلاً وتبكى كثيرًا وارتفعت حرارتها إلى ٤٠ مئوية .. وقالت مسز (هورس فول) :

- « يجب إحضار طبيب للطفلة .. »

لكن لم يكن ثمة أطباء .. وتوفيت الفتاة ، ودفنت فى اليوم ذاته ..

بعد ستة أسابيع ـ وبعد تفتيش الظهيرة ـ قال كابتن (يونياتا) للأسرى الذين تمزقت ثيابهم وأضناهم المرض :

- « سيداتى .. إن جيوش الإمبراطور الآن فى (سنغافورة) .. وقد تحرر (الملايو) كله .. ستتجهن إلى (سنغافورة) حيث معتقلات مناسبة للنساء والأطفال .. ستكونن سعيدات .. »

سألته مسز (هورس فول) :

ـ « وكيف نصل إلى (سنغافورة) ؟ »

قال الكابتن :

ـ « بالقطار .. من (كوالا لامبور) .. »

ـ « وكيف نصل إلى (كوالا لامبور) ؟ »

ـ « تمشين ! »

قالت فى غضب :

ـ « لن نقدر .. إنها مسافة خمسين ميلاً .. لا بد من سيارة .. »

ـ « لا سيارة .. تمشين ! »

سألته :

ـ « وماذا عن متاعنا ؟ »

ـ « تحملنه ! »

قالها فى حنق وابتعد ..

★ ★ ★

٥ ـ الطريق إلى (كوالا لامبور) ..

عند الظهر أحضر لهم جندى دلوًا مليئًا بالأرز ودلوًا مليئًا بالشاى ..

جلسوا يلتهمون طعامهم .. ولم تكن التاسعة صباحًا قد حلّت حين وصل الكابتن ، واعتراه الغضب حين وجدهم لم يرحلوا ..

صرخ فيهم :

ـ « ترحلون الآن .. لو لم تفعلوا سيضربكم رجالى .. اليوم تذهبون إلى (آير بنشيس) .. إنها لا تبعد كثيرًا .. إذا تمشون أنتم سعداء .. إذا تبقون الجنود يضربونكم .. »

ونهض الأسرى .. وجاء (سيرجنت) يابانى يتقدمهم ، وثلاثة جنود فى المؤخرة .. وحملت (جان) الأغطية وهى أثقل جزء من الحمل ، وأمسكت بيدها

الطفلة ذات السنوات الأربع ، على حين حملت (إيلين) رضيعها وحقيبة (جان) ..

مشوْا ببطء .. وكان عليهم التوقف كل بضع دقائق كلما تعثر أحد .. ولم يترك الجنود متخلفين ، برغم أن سرعة المشى كانت ميلاً ونصفًا فى الساعة ..

بدأت أقدامهم تتألم .. كانت النسوة ترتدين أحذية .. فانتفخت أقدامهن .. ولاحظت (جان) أن الأطفال يشعرون براحة فى المشى ، لأنهم حفاة .. فانتزعت حذاءها .. كانت الأرض ساخنة ، لكنها استطاعت السير بسهولة ..

وصلوا إلى (آير بنشيس) ليلاً .. وكان هناك مبنى ضخم يستخدم مخزنًا للمطاط ، فتركه لهم عمدة القرية كى يبيتوا فيه ..

وأعد الجنود بعض الشاى والأرز وحساء السمك ، إلا أن الأسرى لم يصيبوا شيئًا منه ..

ذهبت (جان) إلى متاجر القرية فابتاعت بعض ثمار المانجو .. وعادت بها إلى النسوة .. أكل الجميع وشعروا بالراحة ، وسرعان ما صار الأطفال مغطين

بالمانجو ، بل إنهم أعطوا كل واحد من الحراس ثمرة مانجو ، على سبيل المجاملة ..

صحوا فى الصباح شاعرين بالتصلب ، وقد لدغت الفئران بعض الأطفال ..

بدا لهم أنه من المستحيل مواصلة المشى ، لكن الحراس أرغموهم ..

مشوا عشرة أميال إلى مكان يُسمى (آساخان) .. وكانت إحداهن وتدعى مسز (كولرد) مُرهقة جدًا .. كانت امرأة بدينة أوهنتها الملاريا والزُحار .. وقد اضطرت النسوة إلى حمل متاعها ، وساعدنها فى أثناء المشى .. وعند الظهيرة ازرقّ لون المرأة واحمرّ ، وغدا من العسير عليها أن تتنفس ..

وفى (آساخان) ساعدتها النسوة على الرقاد جوار الحائط ، وغسلن وجهها بالماء .. عندها فقدت الوعى .. وماتت بعد ساعات ..

عندما ماتت مسز (كولرد) اتجهت مسز (هورس فول) و(جان) لتريا (السيرجنت) اليابانى .. كان من العسير جعله يفهم ، لكنهما استخدمتا الإشارات ..

قالتا له :

ـ « غدًا لن يمكننا المشى .. اليوم امرأة ماتت .. وغدًا يموت الباقون .. »

قال لهما :

ـ « غدًا نضع المرأة فى التراب .. بعد غد نمشى .. »

وضعوا مسز (كولرد) فى قبرها .. وقرأت مسز (هورس فول) بضع كلمات من كتاب الصلوات ، ووجدت (جان) نجارًا ، صنع لها صليبًا خشبيًا صغيرًا وضعته على القبر ..

عند منتصف اليوم وصل كابتن (يونياتا) بسيارة كبيرة ، وأثار حنقه أن يجد الأسرى جالسين ..

سألهم غاضبًا :

ـ « لم لا تمشون ؟ »

قالت مسز (هورس فول) :

ـ « لقد توفيت مسز (كولرد) أمس ، ودفناها هذا الصباح .. ولا أحد فينا يستطيع المشى اليوم .. »

ـ « ولماذا تموت المرأة ؟ ملاريا ؟ »

ـ « ملاريا وزُحار .. لقد أوهنها المشى وماتت .. توجد امرأتان أخريان ، غير قادرتين على المشى .. يمكنك أن تراهما لو أردت .. »

هنا بدأ يتكلم بصوت أرق ..

قال :

ـ « سأحضر لكنّ شاحنة من (كوالا لامبور) .. يحزننى أن المرأة ماتت »

أحست بالسعادة ، وظنت أنها ستكون فى (كوالا لامبور) غدًا ..

إلا أنه حين عاد كابتن (يونياتا) مساء ، كانت لديه أنباء سيئة ..

ـ « لن تستطعن الذهاب إلى (كوالا لامبور) .. لقد نسف الإنجليز أكثر الطرق .. ستذهبن إلى (فورت سويتنهام) .. »

سألته مسز (هورس فول) :

ـ « وماذا عن الشاحنات ؟ »

ـ « آسف جدًا .. لا شاحنات .. تمشين .. تمشين ببطء .. يومين أو ثلاثة .. »

ـ « لكن هذا مستحيل .. لا نستطيع المشى كل هذه المسافة .. فكر فى الأطفال »

ـ « لا شاحنات .. مشى ! »

ولم يقل أكثر .. بل ركب سيارته وابتعد ..
ولم يرينه ثانية بعد هذا ..

★ ★ ★

٦ ـ الرحلة إلى (كلانج) ..

فى الصباح التالى بدأ الأسرى رحلتهم .. لم يكن هناك سوى جنديين يحرسانهم ، لأن كابتن (يونياتا) لم يعد يخشى من فرارهن .. فحالتهن لا تسمح بذلك ..

كانت مسز (هولاند) تمشى مترنحة .. بينما (جان) تحتضن الطفلة ، وتحمل الأغطية وتمشى حافية القدمين ..

أمضوا النهار فى كوخ بقرية تدعى (بكرى) ، كان بها حوض سمح للجميع بالاغتسال ..

وكانوا يعرفون أنهم سيبدءون التحرك غدًا عبر حقول المطاط ..

وفى اليوم التالى كادوا يضلون الطريق ، لكن (جان) عرفت الاتجاه من الأهالى .. وشرحته للحراس ..

بعد الظهر داس أحد الأطفال ـ وهو (بن كولرد) أصغر أبناء مسز (كولرد) التى ماتت ـ على عقرب فى الحشائش .. لدغه العقرب فى قدمه .. فتألم كثيرًا

وتورمت رجله ، وصار عاجزًا عن المشى ، واضطر (السيرجنت) اليابانى إلى حمله طيلة الطريق ..

توقفوا فى قرية تدعى (ديليت) .. وكالعادة طلب الحارسان اليابانيان المأوى والطعام من العمدة ، ولم يكن هذا الأخير راغبًا فى بقائهم هنا .. لكن الإنسانية أرغمته على أن يمنحهم كوخًا صغيرًا مع بعض حساء السمك .. ووعده (السيرجنت) بدفع الثمن فيما بعد ..

وفى الكوخ حاولت النسوة معاونة (بن) .. شققن قدمه بالموسى .. وتولّين وضع كمادات دافئة عليها .. ثم غطينها ..

اتجهت (جان) لتتحدث إلى العمدة .. قالت له :

ـ « آسفة لما سببناه لكم من متاعب .. »

ـ « لا مشكلة .. إنكم جميعًا مرهقون مرضى .. »

دعاها إلى داره وقدم لها قدحًا من القهوة ، وراحت (جان) تحكى له قصتهم المأساوية .. وأخبرته أن الأسرى صاروا عاجزين عن المشى يوميًا ، لهذا يستريحون يومًا ويمشون يومًا ..

قال لها :

ـ « إن اليابانيين لا يدفعون ثمن طعامهم أبدًا .. لكنكن مسئوليتنا وسنتولى إطعامكن »

قال (جان) :

ـ « لا أجد ما أقوله سوى الشكر .. »

ابتسم العمدة وقال :

ـ « إن القرآن يأمرنا بالإحسان إلى الضعفاء .. »

★ ★ ★

استراح الأسرى بقية اليوم التالى فى (ديليت) ثم انطلقوا إلى (كلانج) .. وبعد أربعة أميال صار (بن) الصغير فى أسوأ حال .. انتفخت قدماه وآلمتاه ، ولم يعد قادرًا على النوم أو الأكل .. بل إن مرأى الطعام كان كافيًا لأن يصيبه الغثيان ..

وصلوا إلى (كلانج) ، حيث أقاموا فى مدرسة القرية .. ثم اتجه السيرجنت كالعادة إلى العمدة ليطلب الطعام ..

وعاد مع ضابط يابانى يُدعى ميجور (نيمو) ، يتحدث إنجليزية جيدة .

سألهم :

ـ « من أنتم ؟ وماذا تريدون ؟ »

قالت مسز (هورس فول) :

ـ « نحن أسرى قادمون من (بـاتونج) .. أرسلنا كـابتن (يونياتـا) بغـرض دخـول المعتقـل فـى سنغافورة .. »

ـ « كان عليكم أن تبقوا فى (باتونج) .. لا توجـد هنا قوارب .. »

ـ « لم يكن لنا اختيار .. أنتم من يقرر .. »

ثم سألته :

ـ « هل يوجد طبيب ها هنا ؟ .. معنا طفل يتألم بشدة .. وقد هلكت امرأة فى الطريق .. »

سألها فى لهفة :

ـ « مم ماتت ؟ هل هو مرض ؟ »

ـ « لا .. ماتت من المجهود ، أما الصبى فلدغـه عقرب .. »

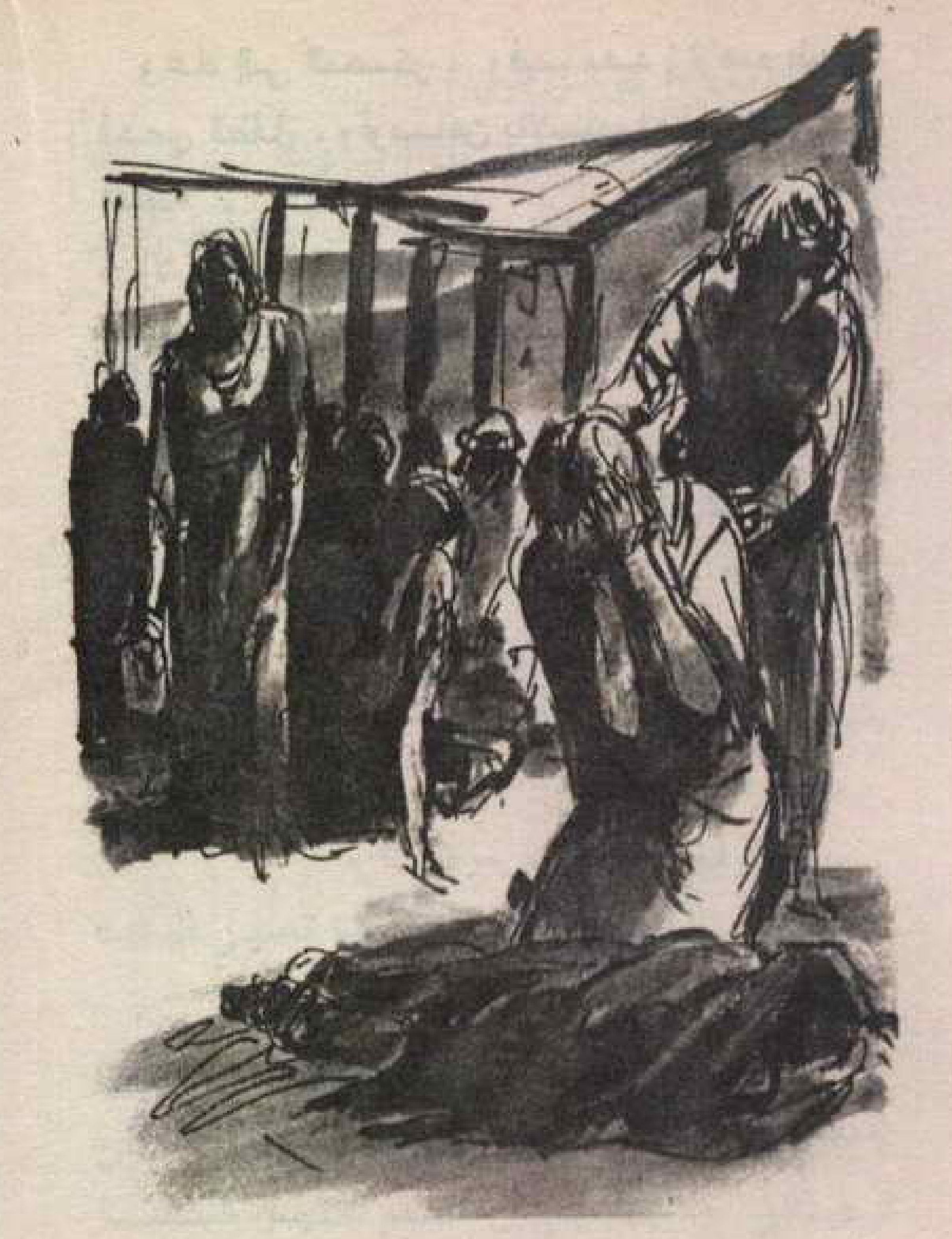
ـ « سأرسل له طبيبًا .. يمكنكم المبيت هنا ، لكن لا أكثر من هذا .. ليس لدى من الطعام سوى ما يكفى لرجـالى .. لا يمكننـى أن أطعـم ثلاثيـن شخصـًا آخرين .. »

وعاد إلى المعسكر .. وفيما بعد زارهـم طبيب فحص الطفل ، وأوصاهن بالاستمرار فى الكمـادات الدافئة ..

إلا أن حالة الصغير تدهورت ..

وفى اليوم السادس قضى نحبه ..

★ ★ ★



وأوصاهن بالاستمرار فى الكمّادات الدافئة .. إلا أن حالة الصغير تدهورت .. وفى اليوم السادس قضى نحبه ..

٧ ـ المسير إلى الساحل الشرقى ..

ظلوا فى (كلانج) أحد عشر يومًا .. كان الطعام شحيحًا ، ولم يكن معهم نقود تسمح لهم بشراء المزيد منه ..

وفى اليوم الثانى عشر جاء ميجور (نيمو) ليتفقدهم .. ثم أمرهم بالمسير إلى (بورت ديكسون) حيث يجدون قوارب تحملهم إلى (سنغافورة) ..

كان هذا هو منتصف (مارس) عام ١٩٤١ ، لكنهم لم يصلوا إلى (بورت ديكسون) إلا فى نهاية الشهر ..

لقد مرضت مسز (هورس فول) وارتفعت حرارتها .. وحين تحسنت نوعًا لم يكن السير بوسعها .. ومن حينها لم تعد قط كما كانت .. وهكذا غدت (جان) هى قائدة المجموعة ..

أخيرًا وصلوا إلى (بورت ديكسون) .. هناك باعت (جان) بروشًا ، كان فى حوزتها بعشرة دولارات

لتشترى قطعة قماش بدولارين .. ومنها صنعت (سارونج) وهو زى بسيط مريح من أزياء (الملايو) .. كما صنعت من بقايا ثوبها القديم بلوزة جعلتها تبدو كواحدة من النسوة المحليات ..

لم تكن هناك قوارب لكن (بورت ديكسون) كان مكانًا مناسبًا .. فالبحر حولهم يسمح بالسباحة ، والماء المالح خير علاج للقروح الجلدية .

لكن بعد عشرة أيام أصدر القائد اليابانى أمرًا بالتحرك إلى (سرنبام) .. اتجهوا إلى (سرنبام) ، وفى الطريق توفيت (جين هولاند) الصغيرة بفعل الملاريا ..

دفنوها فى واحدة من مقابر المسلمين .. وقد حاولت أمها أن تتماسك ، لكن (جان) سمعتها تنشج فى الظلام ..

كان (روبين) الرضيع بحالة طيبة ، ولم يصب بالزحار كباقى الأطفال .. وحتى (جان) أصابتها الحمى ، لكنها تحسنت كثيرًا بعدها ..

بعد أيام صدرت الأوامر بالرحيل إلى (تامبين) .. وهناك قيل لهم : أن يمشوا إلى (ملكة) ..

ووصلوا (ملكة) فأمرهم اليابانيون بالعودة إلى (تامبين) ..

وفى الطريق توفيت مسز (هورس فول) بالزُحار .. وتولت مسز (فريث) أمر (جونى) ابن مسز (هورس فول) ..

كانت مسز (فريث) التى تجاوزت الخمسين أسنَّ نساء المجموعة ، وكانت كثيرة الشكوى حتى توقع الكثيرون مرارًا أن تموت ، لكنها لم تفعل .. لقد عاشت خمسة عشر عامًا فى (الملايو) وتعرفها جيدًا .

وفى (تامبين) صارح كابتن (توسى) (جان) :

ـ « لا توجد معتقلات فارغة فى (سنغافورة) ! »

صاحت :

ـ « لكن إلى أين نذهب ؟ لن نظل نمشى للأبد .. لقد فقدنا سبعة منا .. »

قال بحزم :

ـ « آسف .. لا (سنغافورة) .. أسرى كثيرون فى معتقلات هناك .. ».

ـ « إذن أين نذهب ؟ »

قال وهو يبتعد :

ـ « سأخبركم غدًا .. »

أخبرت (جان) النسوة بما قال الكابتن فلم يندهشن لهذا .. وقالت مسز (فريث) :

ـ « لو أطلقوا سراحنا لوجدنا قرية نقيم فيها حتى تنتهى الحرب .. »

ـ « سيكون هذا أفضل شىء .. لكن كيف نجد الطعام دون يابانيين ؟ »

ـ « إنه ليس طعامًا كافيًا .. لقد كدنا نموت جوعًا فى (ملكة) .. »

فى الصباح التالى جاء الضابط ليعلن لهن :

ـ « اليوم تبدأن الرحلة إلى (كوانتان) .. معتقل كبير للنساء هناك .. »

سألته واحدة :

ـ « أين (كوانتان) هذه ؟ »

فتولت مسز (فريث) الردّ :

ـ « على الساحل الشرقى .. على بعد مائة وخمسين ميلاً .. »

ـ « وهل نذهب بالقطار ؟ »

قال الضابط :

ـ آسف .. لا قطارات .. »

ـ « إذن بالشاحنات ؟ »

ـ « لا شاحنات .. تمشين ! أميالاً قليلة كل يوم .. رحلة سعيدة .. فى (كوانتان) تكنَّ سعيدات .. »

صاحت (جان) :

ـ « لا نقدر على الذهاب الآن .. حالتنا لا تسمح .. »

ـ « اليوم راحة .. وجبة طيبة .. غدًا نمشى .. »

قالها وابتعد ..

راحت النسوة تتناقشن فيما ينبغى عمله .. وقالت إحداهن :

ـ « لا أصدق أن هناك معتقلاً فى (كوانتان) .. »

وقالت أخرى :

ـ « وأنا كذلك .. هم لا يريدوننا فى أى مكان .. فنحن مشكلةَ ، ونأكل الكثير من الطعام .. لهذا يرسلنا كل ضابط إلى أى مكان آخر .. »

وفى الصباح بدأ الأسرى المشى مع اليابانيين .. وكان عليهم المشى على الخط الحديدى .. لم تكن هناك قطارات لذا كان الأمر آمنًا ..

القيظ شديد ولا أشجار هنالك .. لكنهم واصلوا السير ..

بدأ الأطفال يصابون بالحمى فى وقت واحد .. وبدأ هذا فى مكان يدعى (باهاو) .. لذا اضطروا إلى التوقف أسبوعًا ..

وبرغم محاولات العلاج العنيفة ، فقد توفى أربعة من الأطفال ، كان أحدهم هو (فريدى هولاند) ..

كانت (إيلين) أمه قد انتهت تمامًا ، ولم تعد تبالى بشىء .. حتى إنها كفت عن العناية برضيعها .. وصار هو مسئولية (جان) تمامًا .

وفى (آير كرينج) سقطت (إيلين) مرتين فى يوم واحد .. وساعدتها النسوة على المشى . لقد صارت ناحلة جدًا ، واحمرّ وجهها بشدة .. غسلن وجهها وأعطينها حساء ، لكنها أبت أن تأكل ..

أيقنت بالموت ، فهمست فى أذن (جان) ليلاً :

ـ « يؤسفنى أننى أتعبتك معى يا عزيزتى .. وأنا آسفة لـ (بيل) ..

لو قابلته قولى له ألا يحزن ، وأن يتزوج أخرى .. فهو ما زال شابًا .. »

وبعد هنيهة قالت :

ـ « يسعدنى أن الطفل يحبك .. »

وفى الصباح كانت حية ، لكنها فاقدة الوعى .. ووهن تنفسها ..

وعند الظهر ماتت ودفنوها فى القرية هذا المساء ..

★ ★ ★

كان المكان غير صحى ، مفعمًا بالبعوض .. فالأرض حوله مسطحة ملأى بالمستنقعات ، وبدأ الجميع يشكون من الحمى ..

لكن مسز (فريث) قالت لهن : إنهن يجب أن يتحركن سريعًا إلى مناطق أكثر ارتفاعًا ، للفرار من الملاريا ..

أصيب الرضيع (روبين) بالحمى بدوره ، فأخذته (جان) إلى عمدة إحدى القرى .. فأحضرت زوجته مشروبًا ساخنًا مصنوعًا من لحاء شجرة ، وسقته بعضًا منه فتحسن بشكل ملحوظ ..

كانت حصيلة تلك الفترة هى هلاك ثلاث نساء .

لكنهم فى النهاية تحركوا إلى المرتفعات ..

وصلوا إلى مدينة صغيرة تدعى (ميراو) على طريق (كوانتان) .. بها خمسون منزلاً ومدرسة وبضعة متاجر ..

كانت هناك شاحنتان تقفان على جانب الطريق .. وثمة رجلان أبيضان يصلحان إحداهما ، بينما الحراس اليابانيون حولهما .

كانا أول رجلين أبيضين يرونهما منذ خمسة أشهر ..

★ ★ ★

٨ـ الأوستراليان سائقا الشاحنة ..

التفت النسوة والأطفال حول الشاحنة ليرقبوا الرجلين يعملان ..

كانت الشاحنة محملة بـ (فلنكات) السكك الحديدية ، وثمة حارس ياباني يقف فوق الأخشاب ممسكًا ببندقية ..

لم يبد اليابانيون اهتمامًا بالنسوة الواقفات .. وقال أحد الرجلين البيض بالإنجليزية :

ـ « قل لهاته النسوة أن يتحركن .. فأنا لا أرى ما أفعله .. »

ضحكت النسوة .. فقد أسعدهن أن يسمعن الإنجليزية ثانية ..

قالت (جان) :

ـ « حسن .. لا تتضايق .. نحن (نتفرج) فحسب .. »

سأل فى ذهول :

ـ « من قال هذا ؟ من تتكلم بالإنجليزية ؟ »

قالت (جان) :

ـ « أنا فعلت .. نحن بريطانيات .. »

نظر الرجلان إليهن .. كانت النسوة يرتدين زى (الملايو) ، وقد لوحت الشمس بشرتهن ، وكانت (جان) قد ربطت شعرها الأسود الطويل فى جديلة على ظهرها .. لذا صار من العسير تمييز أنها إنجليزية ..

قال الرجل طويل القامة :

ـ « لا يبدو لى أنكن بريطانيات .. »

قالت (جان) :

ـ « هذا لا يمنع أننا كذلك .. »

سألها :

ـ « من أين جئتن ؟ وماذا تفعلن هنا ؟ »

ـ « نحن أسيرات .. ذاهبات إلى المعتقل فى (كوانتان) .. »

ـ « لا يوجد معتقل فى (كوانتان) .. لا يوجد هناك سوى حفنة من الأسرى مثلنا ، كلهم يقودون الشاحنات .. »

ـ « لست مندهشة .. إن اليابانيين يكذبون علينا

طيلة الوقت .. كلما وصلنا إلى مكان وجدنا أنهم لا يريدوننا هناك .. »

ـ « ومن أين جئتن ؟ »

ـ « لقد أسرنا فى (بانونج) منذ خمسة أشهر .. وقد طفنا بـ (كلانج) .. (بورت ديكسون) .. (تامبين) .. (ملكة) .. (جيماس) والآن هنا .. لقد مشينا خمسمائة ميل .. »

تساءل فى ذهول :

ـ « خمسمائة ميل ؟ مشيتن كل هذا ؟ »

ـ « نعم .. كلنا ، وخمس عشرة جثة تركناها وراءنا .. »

تساءل فى ذهول أكبر :

ـ « ماذا ؟ ماتت منكن خمس عشرة امرأة ؟ هيه يا (بن) ! هل سمعت ما دهاهن ؟ »

كان صديقه يثرثر مع النسوة الأخريات .. فسألته (جان) :

ـ « ومن أنت ؟ .. وماذا تفعل هنا ؟ »

ـ « أنا أوسترالى .. اسمى (جون هارمان) وهو

(بن ليجات) .. لقد أسرونا منذ شهرين ، ومن حينها نقود شاحناتهم .. أين تكونون هذه الليلة ؟ »

ـ « هنا .. فى مدرسة القرية كالعادة .. »

ـ « وماذا تفعلن غدًا ؟ »

ـ « نمشى يومًا ونستريح يومًا .. هل يمكن لشاحنتك أن توصلنا ؟ ماذا قد دهاها ؟ »

ـ « لقد احترقت الفرامل ، لكننا أصلحناها .. لكننا قادران على أن نخرّب شيئًا آخر ، لنبقى هنا ليلة ثانية .. ماذا يمكننا عمله لهذه الشاحنة يا (بن) ؟

قال (بن) فى خبث :

ـ « يمكننا أن ننزع عامود (الكردان) .. سيحدث هذا فوضى لا بأس بها . سأفعل هذا الآن .. »

ـ « سأساعدك »

ثم سأل (جان) :

ـ كيف نساعدكن ؟ هل معكن أدوية ؟ »

ـ « لا .. بل نحتاج إلى بعضها .. نحتاج إلى بعض أدوية المعدة والملاريا والتهابات الجلد .. فأكثر الأطفال مرضى جدًا

ـ « هل معك نقود ؟ »

ـ « لا .. لقد أفلسنا تمامًا .. لكن معنا بعض الحلى .. »

ـ « أرجو ألا نحتاج إلى ذلك .. »

فما إن انصرفت حتى كان الأوستراليان قد فكّا عامود (الكردان) .. وأظهراه للحراس ، وأخبراهم أن التحرك مستحيل هذه الليلة ..

شعر الحرس بالريبة ، لكنهم لم يجدوا ما يفعلونه ..

نهض (جون) متظاهرًا بأنه يريد قضاء حاجة خلف أحد المنازل .. فما إن توارى حتى كان هناك رجل صينى يملك حافلة ينتظره ..

سأله (جون) :

ـ « هل أنت بحاجة إلى وقود ؟ »

ـ « نعم .. »

بعد مساومة بسيطة كتب (جون) بعض كلمات على ورقة : أدوية للملاريا ، والأمراض الجلدية والزُحار .. وناولها للصينى ، ثم أخذ منه ثلاثة (جراكن) للوقود ، وعاد أدراجه إلى الشاحنة ..

فى الليل ملأ الـ (جراكن) بالوقود من خزان

الشاحنة ، وأعادها إلى الصينى ، الذى ناوله بدوره بعض الأدوية وشرح له استعمالها .

قصد (جون) المدرسة ، حيث يبيت الأسرى .. وهمس من وراء الباب المفتوح :

ـ « أين الآنسة التى كنت أكلمها ظهرًا ؟ »

كانت (جان) نائمة ، لكن النساء أيقظنها .. فخرجت له .. قال لها :

ـ « مرحبًا .. ما اسمك ؟ »

ـ « (جان باجت) .. »

ـ « (جان باجت) .. سأتذكر ذلك .. ها هى ذى الأدوية يا (جان) (كينين) .. دواء صينى للإسهال يُذاب فى ماء ساخن .. ومرهم جلد »

هتفت فى حماس :

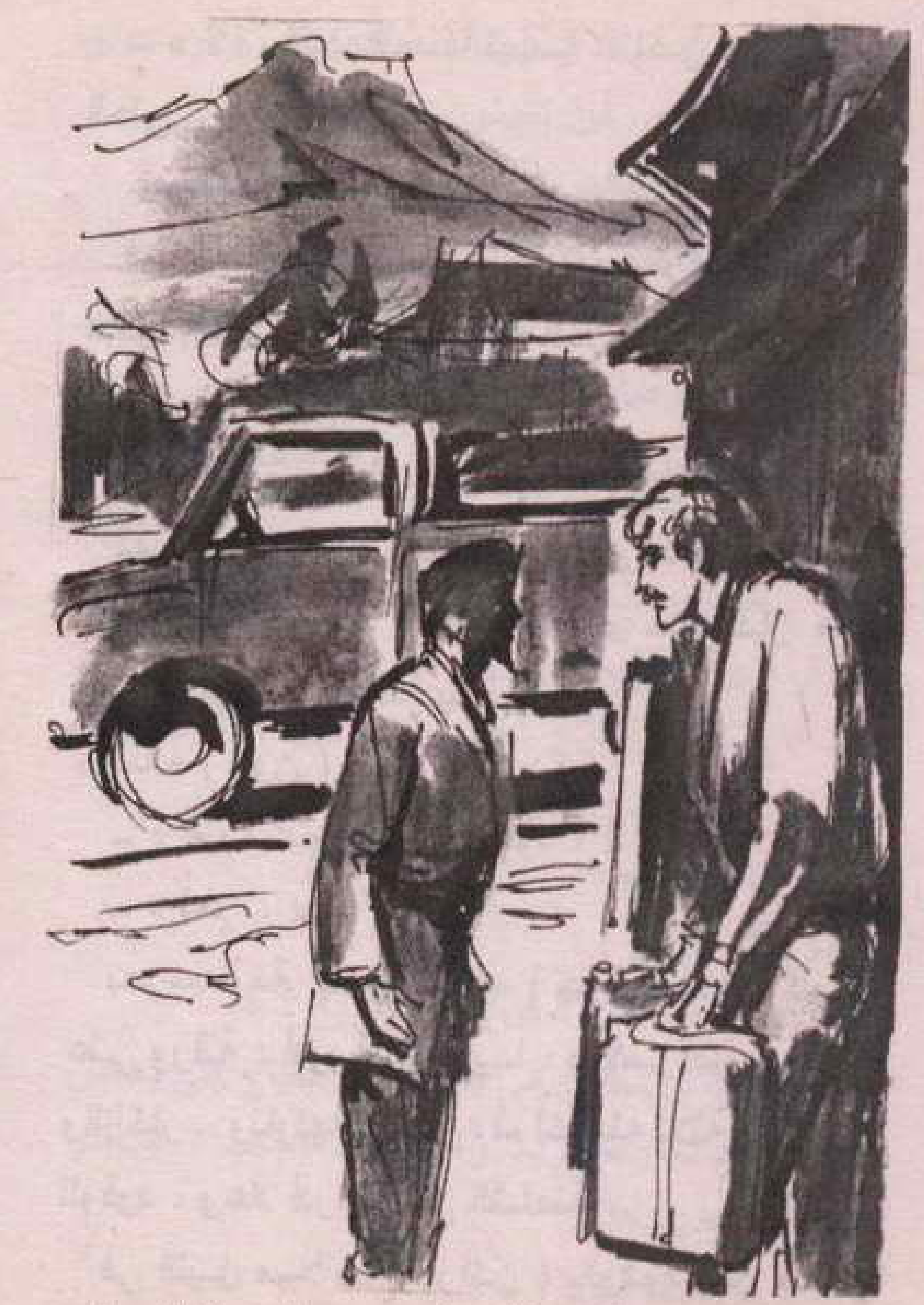
ـ « رائع ! .. كم كلفك هذا ؟ »

ـ « لا تقلقى .. لقد دفعت ثمنه بالوقود اليابانى ! »

ـ « أتمنى ألا يكتشفوا هذا .. »

ـ « إن الشاحنات تفسد دائمًا .. فليس فى الأمر ما يريب .. »

ـ « وإلى أين تحمل هذه الفلانكات الخشبية ؟ »



فما إن توارى حتى كان هناك رجل صينى يملك حافلة ينتظره .

ـ « لا أعرف .. غالبًا هم ينشئون خطًا حديديًا في مكان ما .. »

جلست (جان) على درجة من السلم ، وافترش هو الأرض عند قدميها ..

سألته :

ـ « هل تقود الشاحنات فى أوستراليا ؟ »

ـ « لا .. أنا أرعى الماشية ، فى محطة لحوم كبرى قرب (ووليرا) .. أى على بعد مائة ميل من (سبرنجز)(*) »

ـ « ما هى (سبرنجز) ؟ »

ـ « (أليس سبرنجز) ؟ ألا تعرفينها ؟! إنها فى وسط (أوستراليا) .. منتصف المسافة بين (أدليد) و(داروين) ..

ـ « حسبت وسط (أوستراليا) صحراء كله .. »

ـ « كلا .. ثمة ماء كثير .. الحدائق خضراء طيلة العام .. إن الشمال جاف ، لكن الماء فى الأنهار .. وحتى حين تجف الأنهار فالمياه الجوفية موجودة .. »

(*) اسم مدينة لكن يمكن ترجمته بـ (الينابيع) .

ـ « وكم رأس ماشية ترعاه ؟ »

ـ « ثمانية عشر ألفًا ! »

ـ « يا للسماء ! وما مساحة المحطة ؟ »

ـ « ٢٧٠٠ ميل مربع ! »

هتفت فى دهشة :

ـ « بهذا الكبر ! وكم عددكم هناك ؟ »

ـ « كنا أربعة عشر رجلاً .. »

وظلاً صامتين هنيهة .. هو يفكر فى وطنه الأم ، وهى تفكر فى ضخامة هذه المساحات وكثرة الماشية .. إن إنجلترا تختلف .. فالمدن مزدحمة والمزارع صغيرة .. أربعة عشر رجلاً لا أكثر !

ظلا يثرثران ساعة .. وفى النهاية نهض (جو) لينصرف .. لم ينس أن يسألها عما تحتاج إليه .. فقالت :

ـ « الصابون هو أعزّ ما نحتاج إليه .. فالاستحمام مستحيل بالنسبة لنا ..

قال لها :

« سنحاول إحضار بعضه .. آسف لأننى ثرثرت كثيرًا عن وطنى .. لابد أن هذا أثار سأمك .. »

ـ « بالعكس .. لقد استمتعت به .. »

ـ « تصبحين على خير .. »

ـ « تصبح على خير .. »

★ ★ ★

٩ ـ بعض الصابون وخنزير ..

فى الصباح التالى أظهرت (جان) الأدوية للنسوة الأخريات ، فقالت مسز (فريث) :

ـ « إن (جو) رجل طيب .. أليس كذلك ؟ سمعتك تحدثينه كثيرًا أمس .. »

قالت (جان) :

ـ « إنه يعانى الحنين للوطن .. ويتكلم عن بيته بإفراط .. »

ـ « إنه قد ساعدنا كثيرًا .. فلو أراد الكلام أصغى إليه .. لن نجد طريقة أخرى لشكره .. هل سينقلوننا بهذه الشاحنات إلى (كوانتان) ؟ »

بالفعل حاول الأوستراليون ذلك .. لكن اليابانيين أبوا .. وقالوا :

ـ « إن الشاحنات ملأى .. النساء والأطفال يخربون الشاحنات .. الأسرى يمشون .. »

قضى (جو) وزميله طيلة النهار ، يصلحون

(الكرانك) المكسور ، وحين تأهبوا للرحيل قال (جو) لـ (بن) :

ـ « كلّم الحارس بعض الوقت حتى لا يرى ما أفعل .. لسوف أحدث ثقبًا فى خزان الوقود .. لقد سرقت ستة جالونات من الخزان أمس .. ويجب أن يجد اليابانيون مكانًا للتسرب فى الشاحنة .. »

وتسلل ليحدث الثقب .. وبدأ الوقود يتساقط على الأرض ..

ظلت النسوة طيلة اليوم مستريحات ..

وفى اليوم التالى واصلن الرحلة .. وفى المساء حضرت طفلة من (الملايو) وناولتهن طردًا .. كانت بداخله ستُّ قطع من الصابون ، وخطاب من (جو) :

« عزيزتى (جان) :

هو ذا بعض الصابون .. سأحاول جلب المزيد .. لن أستطيع أن أراك ، لأن اليابانيين لا يسمحون لنا بالتوقف ..

(جو هارمان) »

فى اليوم التالى ، عبر الأسرى عددًا من مزارع جوز الهند ، وابتاعت امرأة زوجًا من الأحذية ، وبعض ثمار

جوز الهند ، من ثم استطاع الجميع شرب لبن جوز الهند شهى المذاق ..

وفى (بيركابور) قضين اليوم فى ظليلة كانت مخزنًا .. جلسن واستعملن الصابون لأول مرة منذ أسابيع عديدة ..

وفى المساء جاءت الشاحنتان ، فخرجت لتلقى (جو) ..

قالت له :

ـ « شكرًا على الصابون .. لقد كان حمّامًا رائعًا .. »

قال لها :

ـ « لقد جلبنا معنا خنزيرًا لكنّ .. »

ـ « خنزير ؟ »

ـ « نعم .. وجدناه على الطريق .. طاردته بالشاحنة وأطلق عليه اليابانيون النار .. لم يصيبوه إلا بعد الطلقة السابعة .. سيحصلون على أكثر اللحم ، لكن سيبقى ما يكفى لكنّ .. »

وفى تلك الليلة أكلن اللحم مع الحساء .

فيما بعد ذهب (جو) ليرى (جان) .. كانت تلعب مع الرضيع ، فوقف يرقبها بعض الوقت ثم قال :

- « آسف لأننى لم أحضر مزيدًا من اللحم .. فأنتن شديدات النحول .. »

- « نحن كذلك .. لكننا أفضل بكثير مما كنا .. والفضل لك .. »

- « هى حياة غريبة لكنّ .. ماذا كنتن تفعلن قبل قدوم اليابانيين ؟ »

- « أكثرنا متزوجات وكان للأزواج وظائف .. »

- « لكنهم الآن فى سجن (سنغافورة) .. »

- « نعم .. »

- « ألا تستطعن الإقامة فى مكان حتى تنتهى الحرب ؟ »

- « بلى .. فكرنا فى ذلك .. لكننا بحاجة إلى الطعام .. ولن نجده ما لم ندفع ثمنه .. »

قال لها بعد تفكير :

- « نعم .. لن تجدنه .. »

ثم نظر لأعلى وقال :

- « أعرف من أين أجلب لكنّ بعض الدجاج .. »

- « لكننا لم ندفع ثمن الصابون بعد .. »

- « لقد دفعه اليابانيون بالفعل ! »

- « أنت محظوظ لأنهم لم يقبضوا عليك .. »

- « من السهل خداع هؤلاء القوم .. »

- « هل ستسرق الدجاج أيضًا ؟ أرجو أن تحترس .. »

- « سيكون كل شىء على ما يرام .. حين أحضر لك دجاجة ، كليها ولا تسألى من أين جاءت .. »

جلست جواره على الأرض .. وسألته :

- « كلمنى عن (أوستراليا) .. هل هى حارةٌ ؟ »

- « نعم .. إن الحرارة هناك سبعة وأربعون درجة مئوية .. لكنها حرارة جافة .. فلا تعرقين كما يحدث هنا .. فقط تشعرين بالظمأ .. »

سألته :

- « كيف تبدو البلاد ؟ »

كانت تعرف ولَعه بالكلام عن وطنه ، فحاولت أن تسرّه .. قال :

- « إنها حمراء .. والتربة والصخور حمراء .. وعند شروق الشمس يغدو كل شىء أرجوانيًا .. وفى

فصل الأمطار تكتسى الأرض بالأعشاب ، فيغدو اللـون أخضر .. من أين جئت ؟ »

ـ « من (ساوثهامبتون) .. »

ـ « حيث تجىء كل القوارب ؟ »

ـ « نعـم .. ليسـت جميلـة ، لكنـى كنـت سـعيدة هناك .. ومازلت أحلم بأن أراها ثانية .. »

بعد دقائق نهض لينصرف .. قال لها :

ـ « سأعود بعد يومين .. »

وأوصلها إلى المدرسة فقالت له :

ـ « سنستريح غدًا ثم نقصد (بوهوى) »

ـ « سأحضر لك الدجاج هناك .. »

قالت بجدية :

ـ « أرجوك أن تكون حذرًا .. »

ـ « ليس الأمر خطرًا إلى هذا الحدّ .. ولو كان كذلك سأبحث عن شىء آخر أسرقه .. فأنا لا أحب المشاكل .. »

وابتسم قائلاً :

ـ « أودُّ أن أظـل سالمًا لمـدة عامين حتى تنتهى الحرب ثم أعود لوطنى .. »

ـ « هل تستمر الحرب عامين ؟ »

ـ « كذا يقول (بن) .. لكن لا عليك .. فكرى فى الدجاج ! »

ـ « أرجوك .. كن حذرًا .. »

ـ « سأكون .. والآن وداعًا .. »

★ ★ ★

١٠ ـ خمس دجاجات سوداء ..

بدأ الأسرى سيرهم إلى (بوهوى) .. مرّت بهم الشاحنات عند الظهر .. ومن النافذة لوّح (جو) للنساء فلوحن له بدورهن .. وشعرت (جان) بالسعادة ، لأن الرجلين لم يجلبا الدجاج ، فهى تعرف أنهما سيفعلان أى شىء للحصول عليه .. وما داما لا يحملان دجاجًا فهما فى أمان ..

فى المساء جاء صبى من (الملايو) ليراهم ، وكان يحمل حقيبة من (الكانافاه) .. فتحت (جان) الحقيبة ، فوجدت بها خمس دجاجات سوداء كبيرة ، كلها حيّة ، وقد ربطت أقدامها ..

كان عليها أن تجد قصة تقنع بها الحراس اليابانيين ، لأن أمر الدجاج لن يظل سرًا .. وقرّرت أن تستشير مسز (فريث) ..

قالت المرأة العجوز :

ـ « فلنزعم أن الفلاحين أعطونا إياها .. »

ـ « ليس الفلاحون بهذا الكرم .. ولن يصدّقنا اليابانيون .. »

ـ « لنقل إننا اشتريناها .. »

ـ « ممكن .. لكنهم سيسألون من أين جئنا بالمال .. »

ـ « لنقل إن الأوستراليين أعطيانا المال .. »

ـ « حسن .. لكنى لا أريدهما أن يقعا فى مشاكل .. سنقول إننا اشترينا الدجاج من مال الأوستراليين .. ولكن من أين اشتريناها ؟ »

ـ « ومن أين جاء الصابون ؟ »

ـ « من (جوبانج) .. لكننا لم نتوقف هناك .. »

ـ « قولى إننا حاولنا شراء الدجاج فى (بيركابور) .. لكننا لم نجد .. ثم عرض البائع أن يرسله لنا ها هنا .. »

ـ « أتعشم أن يصدقوا هذا .. »

ـ « من الضرورى أن نمنح اليابانيين دجاجة .. »

صاحت (جان) فى صرامة :

ـ « لن أعطيهم أية دجاجة ! »

- « لا بد أن ينالوا واحدة أو اثنتين .. وإلا ماصمتوا .. »

وكانت (جان) تعرف أن مسز (فريث) محقة .. لذا ذهبت تتحدث مع (السيرجنت) .. قالت له :

- « انظر .. هذا عشاء ممتاز .. دجاج .. »

ومدّت يدها فى الحقيبة فأخرجت دجاجة .. وهتفت :

- « هذه لك .. »

بدت عليه دهشة غامرة .. وسألها :

- « أنت اشتريته ؟ »

- « نعم .. عشاء طيب .. »

- « من أين جئت بالمال ؟ »

- « الأوستراليان أعطيانا إياه .. قالا إننا نحيلات جدًا .. »

قال لها فى صرامة :

- « دجاجتان ! »

بحزم ردّت :

- « بل واحدة .. إنها هدية لأنك طيب وتعين الأطفال ، وتسمح لنا بالبطء فى السير .. توجد هنا خمس دجاجات ونحن سبعة عشر أسيرًا .. »

كانت دجاجات سوداء كبيرة ، تختلف عن الدجاج الذى تراه فى القرية .. وسرعان ما هزّ الجندى رأسه ، وحمل الدجاجة تحت إبطه سعيدًا ..

وفى هذه الليلة نعم الجميع - البريطانيون واليابانيون - بالدجاج والأرز .

★ ★ ★

وفى اليوم نفسه كان القائد اليابانى - واسمه (سوجامو) - الذى يعيش فى (كوانتان) مغتاظًا جدًا ..

كان يعيش فى منزل الحاكم البريطانى السابق ، وفى الحديقة كانت هناك عشرون دجاجة من نوع (لوج هورن) كان الحاكم قد جلبها من (انجلترا) عام ١٩٣٩

واستبقى كابتن (سوجامو) الدجاج وكان فخورًا به ..

إلا أنه فى هذا الصباح عرف أن خمسًا منها قد سرقت .. ومعها سرقت الحقيبة الخضراء ، التى توضع فيها الحبوب ..

استدعى (سوجامو) الشرطة العسكرية ، وأمرهم بالبحث عن الدجاج .. ومَنْ سرقوه ..

وانحصر الشك فى سائقى الشاحنات الأوستراليين .. فتشوا أكواخهم ، فوجدوا بعض المعلبات ولفافات التبغ .. لكن لا دجاج ..

أمر الكابتن رجاله بتمشيط المدينة .. فراحوا يبحثون فى كل صوب عن ريش أسود أو حقيبة خضراء ..

ازداد حنق الرجل ، والتفتيش لن يسفر عن شىء ..

إلى أن كان بعض الجند خارج (كوانتان) حين قابلوا بعض النساء والأطفال يمشون على الطريق .. وكان معهم جنديان يابانيان ، يضع أحدهما بندقية على كتف وحقيبة خضراء على الآخر ..

توقف رجال الشرطة العسكرية بسياراتهم (الجيب) ، وسألوا الجندى : من أين حصل على الحقيبة ..

أشار إلى (جان) ، فأحاطوا بها يسألونها عن مصدر الحقيبة .. قالت قصتها المعتادة : الأوستراليون أعطوها مالاً كى تبتاع بعض الدجاج من (بيركابو) .. وكان الدجاج فى حقيبة خضراء ..

لم يصدقوا حرفًا .. وسألوها الأسئلة ذاتها مرارًا .. وضربوها وصفعوها عدة مرّات ، لكنها ظلت تكرّر الإجابات ذاتها ..

كانت تدرك أن قصتها واهية جدًا .. لكنها لم تكن تملك سواها ..

بعد ساعتين وصلت شاحنتان كان (جوهارمان) يقود إحداهما .. أنزلوه منها .. وسألوا (جان) :

ـ « هل هذا هو الرجل الذى أعطاك المال ؟ »

قالت فى سرعة :

ـ « كنت أحكى لهم عن الأربعة دولارات التى أعطيتنى إياها يا (جو) .. لقد اشتريت بالمال دجاجًا لكنهم لا يصدقون .. »

قال رجل الشرطة العسكرية :

ـ « أنت لم تعطها مالاً .. بل أعطيتها دجاجًا مسروقًا من منزل القائد فى (كوانتان) .. »

نظر (جو) إلى أنف (جان) الذى تسيل منه الدماء .. وإلى قدمها المرضوضة ، وعرف على الفور أنه يجب أن يقول الحقيقة كى يحميها ..

قال فى صوت خفيض غاضب :

ـ « دعوها وشأنها يا حمقى .. نعم .. لقد سرقت الدجاج .. »

على الفور أمر رجال الشرطة النسوة والأطفال

بركوب الشاحنات .. وأخذوهم مع (جو) إلى الكابتن (سوجامو) ..

وسرعان ما أصدر (سوجامو) حكمه بالموت على (جو) ..

ثبّت رجال الشرطة العسكرية يديه وقدميه بالمسامير إلى الشجرة .. وراحوا يضربونه مرارًا حتى قضى نحبه ..

وتم هذا أمام الأطفال والنساء ، الذين أرغموا على رؤية المشهد ..

* * *



ثبّت رجال الشرطة العسكرية يديه وقدميه بالمسامير إلى الشجرة .. وراحوا يضربونه مرارًا حتى قضى نحبه ..

١١ ـ سجناء بلا حارس ..

حين ظنَّ اليابانيون أن الأوسترالى قد مات ، قال كابتن (سوجامو) للأسرى فى اشمئزاز :

ـ « أنتم قوم أشرار .. ولا مكان لكم هنا .. ستذهبون إلى (كوتا بارو) .. الآن تمشون .. »

جمعوا أشياءهم وانطلقوا فى طريقهم شمالاً .. والوقت ظهر والقيظ شديد .. لكنهم كانوا راغبين فى ترك (كوانتان) سريعًا ..

أما السيرجنت فقد أبقاه كابتن (سوجامو) معه ليعاقبه ..

شقوا طريقهم عبر الساحل .. وأمضوا الليلة الأولى فى قرية صيادين .. لم يستطيعوا النوم ، لأن الأطفال كانوا مذعورين من مشهد قتل (جوهارمان) .. وظلوا يصرخون طيلة الليل ..

فى اليوم التالى مشوا بأسرع ما استطاعوا ليبتعدوا عن (سوجامو) ..

★ ★ ★

كان الساحل الشرقى بهيجًا صحيًا .. الطقس بارد نوعًا .. وهم يطعمون سمكًا طازجًا كل يوم ، مما زادهم قوة وشفى أمراضهم ..

كما أن الاستحمام فى البحر عالج قروحهم الجلدية ..

وللمرة الأولى ـ منذ كانوا فى (باتونج) راح الأطفال يلعبون .. وبدأت (جان) تعلم (روبين) كيف يمشى ..

الوحيد الذى لم يكن سعيدًا ولا بصحة جيدة هو الحارس اليابانى .. فقد صار وحيدًا بلا صديق يثرثر معه ..

مشوا على الشاطئ فى بطء .. ومن حين لآخر كان أحدهم يمرض ، فكانوا يتوقفون أيامًا حتى يبرأ من مرضه ..

لم يمت آخرون ، لذا شعروا بأن الأمور إلى انفراج ، وأن الأحزان قد انتهت ..

وفى نهاية (أغسطس) وصلوا إلى (كوانا تيلان) ..

كان الفلاحون يزرعون الأرز .. بينما آخرون يصطادون السمك بالشباك عبر الشاطئ ..

كان الحارس اليابانى محمومًا الآن .. وشعرت

النسوة بالتعاطف معه .. فقد كان يساعدهن في حمل الأطفال .. وكان يبكى بحرارة كلما مات طفل .. الآن هو مريض جدًا ..

لذا حملن حذاءيه وحقيبته وبندقيته .. وحين وصلن القرية قدنه إلى مكان ظليل .. كان محمومًا إلى درجة أنه لم يعد يعرف أين هو ..

ذهبت (جان) إلى العمدة ، وكان فى الخمسين من عمره يُدعى (مات أمين بن طيّب) ..

قالت له :

ـ « نحن أسرى مكلفون بالمشى من (كوانتان) إلى (كوتا بارو) .. وهذا اليابانى هو حارسنا .. وهو مريض بالحمى .. نحتاج إلى مأوى وطعام .. »

قال (مات أمين) :

ـ « لا مكان هنا يناسب النساء الأوروبيات .. »

قالت له :

ـ « نحن لسن نساء أوروبيات .. نحن أسيرات .. لا نحتاج إلى منازل وأسرّة .. نحتاج إلى أرض ننام عليها وبعض الأرز والسمك .. »

ـ « يمكنكن أن تنلن نفس ما تناله نساؤنا .. لكن يدهشنى أن أرى نسوة أوروبيات يرضين بهذا .. »

واصطحبها إلى داره ليقدم لها حشايا ينمن عليها ..

وفى الصباح كان الجندى اليابانى أسوأ حالاً .. وراح يتمنى الموت .. وأدركت النسوة ألا سبيل لإنقاذه ..

مدّت (جان) يدها فى جيبه وأخرجت حافظته .. كانت بها صورة امرأة مع أربعة أطفال ..

قدمت له الصورة ، آملة أن تمنحه القدرة على المقاومة ، لكنه أشار لها بأن تبعدها عنه ..

وفى عينيه لمحت (جان) الدموع ..

وبعد يومين توفى ..

دفنته النسوة .. وبكين عليه قليلاً ، لأنه كان صديقًا لا بأس به .. والآن صرن أسيرات بلا حارس .. ورحن يناقشن موقفهن ..

قالت مسز (فريث) :

ـ « لا أدرى لماذا لا نبقى فى هذه القرية ؟ إنها هادئة ولا يوجد يابانيون فيها .. أودّ البقاء هنا حتى تنتهى الحرب .. »

قالت (جان) :

ـ « أتمنى ذلك مثلك .. لكن اليابانيين سيجدوننا حتمًا ، عندئذ سنسبب مشاكل للعمدة .. ولربما قتله اليابانيون .. »

قالت إحدى الأمهات :

ـ « لن يبحثوا عنا .. »

ـ « نعم هذا جائز .. لكن (مات أمين) سيظل فى خطر طالما نحن هنا .. »

ـ « أنت محقة .. »

ـ « وهناك مشكلة أخرى .. كيف يوفر الفلاحون لنا الطعام ؟ »

قالت مسز (فريث) :

ـ « لِمَ لا نزرع طعامنا ؟ إن نصف حقول الأرز هنا غير مزروعة .. »

ـ « بالفعل .. ولا أدرى سبب ذلك .. »

قالت أم أخرى :

ـ « هذا طبيعى .. لقد أخذ اليابانيون كل الرجال ليعملوا فى خط السكة الحديدية .. »

قالت (جان) :

ـ « ربما نستطيع زراعة الأرز .. »

قالت امرأة :

ـ « لا أستطيع أن أمشى فى الوحل والماء لأزرع الأرز .. »

فقالت مسز (فريث) :

ـ « بل هى فكرة طيبة .. واليابانيون سيجدونها كذلك .. سيجدون أننا نطعم أنفسنا .. بل ونوفر لهم مزيدًا من الأرز .. »

طالت المناقشات .. لكن (جان) كانت مهتمة بسؤال (مات أمين) عن إمكانية البقاء ..

★ ★ ★

١٢ ـ كوالا ـ تيلانج ..

اتجهت إليه فى الصباح .. حيته برقة ، ثم جلست جواره ..

وسألته :

ـ « (مات أمين) .. أرى حقولاً كثيرة غير مزروعة .. فما السبب ؟ »

ـ « لا يوجد رجال لزرع الأرز .. لدينا صيادون ، لكن ليس لديهم وقت كاف للعمل فى الحقول .. لقد أخذ اليابانيون الرجال الآخرين .. »

ـ « هل هم يعملون فى السكة الحديدية ؟ »

ـ « لا .. إنهم يبنون مهبطًا للطائرات فى (جونج ـ كيداك) .. »

سألته :

ـ « هل سيعودون سريعًا للزراعة ؟ »

ـ « لا أظن .. سيبنون مهبطًا آخر فى (تاخانج) ..

ثم مهبطًا فى (تان ـ يونج ـ مات) .. سيحتفظ اليابانيون بالرجال فترة طويلة .. »

ـ « ومن يزرع الأرز ؟ »

ـ « النساء سيزرعن ما يستطعن زرعه .. سيكون هناك أرز كاف لنا .. لكن لن يكون هناك ما نبيعه لليابانيين .. »

ـ « (مات أمين) .. ثمة أمر مهم أريد أن أكلمك فيه .. لو كان معنا رجل لفوضناه بالحديث .. لكننا جميعًا نساء .. »

ابتسم .. واقتادها إلى منزله ، حيث جلسا فى الشرفة على الأرض .. وأمر زوجته بإعداد بعض القهوة .. وبينما هما ينتظران راحت (جان) تحدثه فى أشياء أخرى كما تقضى التقاليد ..

جاءت القهوة فى قدحين سميكين .. وكانت دون حليب وكثيرة السكر ..

رشفت (جان) قليلاً ، ثم وضعت قدحها وقالت :

ـ « إن موقفنا حرج يا (مات أمين) .. لقد مات حارسنا ، ولم نعد قادرين على الذهاب لأى مكان .. واليابانيون لا يريدوننا .. »

- « أعرف كل هذا .. »

- « يمكننا البحث عن رجال الجيش اليابانى .. لو كنا رجالاً لرمونا بالرصاص واستراحوا .. لكننا نساء وأطفال ، لذا لن يفعلوا بنا شيئًا .. سنظل نمشى حتى نصل ذات يوم لمنطقة موحلة ونموت .. »

- « لا تخافى .. إن القرآن يقول لنا : إن اللّه (سبحانه وتعالى) يبلونا ليثبّت إيماننا .. »

قالت وقد تذكرت ما قاله لها العمدة فى (ديليتِ) :

- « إن القرآن كذلك يأمر بالإحسان إلى الضعفاء .. »

سألها فى دهشة :

- « هل أنت مسلمة ؟ »

- « لا .. أنا مسيحية ، لكنى سمعت هذا من عمدة كريم فى إحدى القرى .. »

- « أنت ذكية .. فماذا تريدين ؟ »

- « نريد البقاء فى هذه القرية لنعمل فى الحقول .. سنزرع حقول الأرز لمدة أسبوعين ، تحت إشراف نسائكم .. وسنعمل يوميًا لنسدّد ثمن طعامنا ومأوانا .. »

- « لكن هذا سيغيظ اليابانيين جدًا .. »

- « أعرف هذا .. لذا - بعد أسبوعين - سنقابل

الضباط اليابانيين ، ونطلب الإذن بزراعة الأرز .. سنقنعهم أنهم سيجدون أرزًا أكثر للجنود لو بقينا هنا وعملنا .. »

قال بعد تفكير طويل :

- « الأوروبيات لا يعملن فى حقول الأرز .. »

بنفس لهجته قالت :

- « والأوروبيات لا يمشين أميالاً ثم يمتن .. »

ظل صامتًا يفكّر .. فقالت له :

- « يجب أن تعطينا ردًا يا (مات أمين) .. تستطيع الخلاص منا .. لكن لو جعلتنا نبقى فلسوف يشكرك البريطانيون حين يعودون .. إن دولاً كثيرة تحارب اليابان ، ولا بد من نصر دان .. »

قال لها بعد ما فرغ من احتساء القهوة :

- « لا أستطيع إعطاء ردّ فورى .. يجب أن أتشاور مع رجالى وأن آخذ رأى إخوتى .. »

وانصرفت (جان) ..

فى المساء وجدت حشدًا من الرجال فى كوخ (مات أمين) ، فعرفت أنهم يناقشون الأمر وعواقبه ..

ثم جاء (مات أمين) ليلقى (جان) .. فقابلته حاملة مصباحًا من الزيت ..

قال لها :

ـ « لقد تحدثت مع إخوتى .. بعض الرجال خائفون من البريطانيين يوم يعودون .. سيقولون إننا أرغمناكن على العمل فى الحقول .. »

قالت له :

ـ « يمكننى أن أكتب لك بخطّ يدى مستندًا ، يؤكّد أننا راغبات فى العمل .. »

قال لها :

ـ « لا حاجة لكتابة مستند .. سأعتمد على كلمتك .. »

فى اليوم التالى ذهبت النسوة البريطانيات للعمل فى الحقل .. وشرحت لهن فتاتان من القرية طريقة الزراعة ..

غرقن فى الوحل والماء ، لكن الأمر لم يكن شاقًا .. وفى نهاية أسبوعين كن قد فرغن من زراعة الأرز ..

وفى اليوم السادس عشر غادرت (جان) القرية مع (مات أمين) .. وحملت معها ثياب الجندى اليابانى وحافظته وبندقيته ..

كانت أقرب القوات اليابانية فى (كوالا راكت) على بعد سبعة وعشرين ميلاً تقريبًا .. هناك أخذها إلى كبير ضباط (الملايو) ويدعى (تونجكو بنتارا راجا) .. وكان يتكلم إنجليزية ممتازة ..

حكت له (جان) قصتها فأبدى أسفًا شديدًا .. وقالت :

ـ « نريد البقاء فى (كوالا ـ تيلانج) .. لا نريد مواصلة المشى .. »

ـ « لا يوجد معتقل للنساء .. لكنهم لن يتركوكن هناك .. على كل حال ستبيتين الليلة فى دارى .. وغدًا نقابل الحاكم العسكرى اليابانى .. »

وفى الليل نامت (جان) على فراش لأول مرة منذ سبعة أشهر .. لكن القيظ كان شديدًا فلم يواتها النعاس ..

فى الصباح ذهبت مع (تونجكو بنتارا) إلى الحاكم العسكرى ، وكان هذا الأخير قد درس فى (أمريكا) ويتحدث إنجليزية جيدة ..

قال لها اليابانى :

ـ « أتمنى أن أعينك .. لكن الكولونيل (ماتيساكا) هو المسئول عن الجيش ها هنا .. »

وسمع (ماتيساكا) القصة بدوره فبدا مغتاظاً ..

لم يكن لديه جنود يكفون للعناية بالأسرى .. ولم يكن لديه معتقل يسمح بإبقائهن ..

قال لها :

ـ « ستذهبين إلى (كوتا بارو) .. »

سأله الحاكم العسكرى :

ـ « ولماذا لا يبقين حيث هُنَّ ؟ »

ـ « لأننى لن أعنى بأمرهن .. ولو بقين فى (كوالا ـ تيلانج) لصرن مسئولية على كاهلنا .. وهذا ما لا أريده .. »

قال الحاكم :

ـ « حسن .. سأعنى أنا بهن .. »

وغادروا المكتب على إذن ببقاء النساء والأطفال حيث هم ..

وعادت (جان) إلى القرية مع (مات أمين) ..

وعاشوا هناك ثلاثة أعوام ..

★ ★ ★

١٣ ـ بعد الحرب ..

انتهت الحرب عام ١٩٤٥ ، وعادت (بريطانيا) إلى (الملايو) ..

تم نقل النساء والأطفال إلى (كوتا ـ بارو) ، حيث تم أخذهم بالطائرة إلى (سنغافورة) .. وهناك قابلوا الرجال الذين تم أسرهم فى (بانونج) ..

ولاقت (جان) (بيل هولاند) .. فأخبرته بما حدث لـ (إيلين) والطفلين .. أصغى لها محزوناً ..

لكن (روبين) كان سالماً على الأقل ، وهو طفل جميل فى الرابعة من عمره ، ويحب (جان) بشدة ..

أما (جان) فقد راحت تجمع الأخبار عن أسرتها ..

لقد توفى أخوها (دونالد) فى (بورما) .. لقد قبض عليه اليابانيون .. وأرسلوه للعمل فى السكك الحديدية ، حيث مات مئات الأسرى ..

أرسلت برقية لأمها فى (انجلترا) .. وبعد عشرة أيام تلقت برقية من خالتها فى (ويلز) .. قالت لها : إن أمها ماتت منذ ثلاثة أعوام ..

وهكذا صارت (جان) وحيدة فى هذا العالم ..

حين عادت إلى (انجلترا) ؛ سألها (بيل هولاند) أن تقبل الزواج منه .. لكنها أبت إلا أن تقيم مع خالتها فى (ويلز) ..

ثم إنها قصدت (لندن) حيث وجدت عملاً فى شركة تُدعى (باك آند ليفى) تصنع أحذية وحقائب جلدية ..

كانت سكرتيرة مستر (بارك) المدير .. ووجدت غرفة صغيرة ، بدأت تعيش فيها حياة هادئة ، كأية فتاة إنجليزية أخرى ..

لكم تذكَّرت الحرب فى (الملايو) !

لكم تذكَّرت النسوة والأطفال الذين ماتوا فى أثناء المسير ..

ولم تنس قط مصرع (جو هارمان) ..

كانت فى السابعة والعشرين من عمرها .. لكنها كانت تشعر بالشيخوخة ، ولم تفكر قط فى المستقبل ..

أرادت أن تعيش حياة هادئة ، ولم تفكر قط فى الزواج والأطفال ..

ولمدة عامين عاشت فى (لندن) الحياة التى

أرادتها ، إلى أن تلقت خطابًا من محام يخبرها أن لها عمًّا توفى فى (أسكتلندا) ، وترك لها بعض المال ..

تذكَّرت أنها فى طفولتها زارت شخصًا ما فى (أسكتلندا) ثم نسيت كل شىء عنه .. كان الخطاب يطلب منها أن تلقى المحامى ..

* * *

تلا عليها المحامى نصَّ الوصية ، وأخبرها أن عمها ترك لها مائة وخمسين ألف جنيه إسترلينى .. وقال لها :

ـ « هذا يعنى أنك لستِ بحاجة إلى العمل مرة أخرى يا مس (باجت) .. فالدخل السنوى من هذا المال سيكون ألف جنيه سنويًا دون مساس بالأصول .. يمكنك الحصول على خادم وسيارة ومنزل صغير .. »

قالت (جان) :

ـ « يبدو لى أننى صرت ثرية فجأة ! »

ـ « نعم .. أنت كذلك فعلاً .. يجب أن تقررى ما تريدين عمله بكل هذا المال .. »

ـ « سأقرر .. لكن دون عجلة .. وفى الوقت الحالى سأستمر فى العمل عند (باك آند ليفى) .. »



تلا عليها المحامى نصّ الوصية ، وأخبرها أن عمها ترك لها مائة وخمسين ألف جنيه إسترلينى ..

وانتظمت شهرين فى العمل ..

ثم إنها جاءت لتقابل المحامى .. وقالت له :

- « لقد استقررت على ما أريد عمله .. سأذهب إلى (الملايو) وأحفر بئرًا ! »

غمرته الدهشة .. فراحت تحكى له قصتها فى أثناء الحرب ..

قالت له :

- « .. وأقمنا فى (كوالا تيلانج) ثلاثة أعوام هانئة .. كان الناس طيبين للغاية ، ولم نستطع قط أن نردّ لهم ثمن المعروف .. لكن المال معى الآن .. ويمكننى أن أمنحهم هدية .. »

سألها المحامى :

- « ولماذا بئر بالذات ؟ »

قالت :

- « النسوة هناك ليس لديهن بئر .. إنهن يمشين ميلين لجلب الماء .. ثم يعدن وهن يحملنه ميلين آخرين .. إن البئر سيحدث طفرة فى حياة النساء .. ولن يكلف كثيرًا .. »

سألها :

ـ « إذن تريدين العودة إلى هناك .. وماذا تفعلين بعدها ؟ »

ـ « لا أدرى .. لكنى سأستقيل الآن من (باك آند ليفى) .. وحين أعود سأبحث عن شىء آخر أفعله .. »

رتب المحامى مع بنوك (الملايو) عملية حصول (جان) على المال حين تريد .. كما كتب للحاكم فى (كوتا بارو) وأخبره بقدوم (جان) ..

وفى يونيو ١٩٤٨ سافرت (جان) إلى (الملايو) ومعها أقل القليل من المتاع ..

لكنها لم تعد إلى (انجلترا) قط بعدها ..

★ ★ ★

١٤ ـ البئر ..

قابلها الحاكم العسكرى البريطانى فى مطار (كوتا ـ بارو) ، واصطحبها معه إلى داره ..

وأقامت فى (كوتا ـ بارو) يومين .. وقد أدهشها أنها صارت شهيرة .. وأن الناس فى (الملايو) يعرفون قصتها آناء الحرب ..

وفى الصباح الثالث أخذها سائق فى عربة (جيب) إلى (كوالا تيلانج) .. ولم تأخذ معها سوى سلّة يد صغيرة ..

كانت ترتدى زى (الملايو) كما كانت حين عاشت فى القرية ..

وكان الحاكم قد أرسل رسالة إلى (مات أمين) ، وقد راحت القرية تنتظر وصولها ، والسرور يعمّ الجميع ..

قابلت الرجال الذين عادوا بعد الحرب ، وليلتها نامت على الأرض .. صحيح أنها لم تنم جيدًا ، لكنها أحست براحة لم تحسها فى (لندن) قط ..

فى الصباح قابلت النساء ..

قالت لهن :

- « حين عدت إلى (انجلترا) لم يكن لدىّ مال .. والآن صرت ثرية ، ولم أعد بحاجة إلى العمل .. وقد عدت لأننى أرغب فى إهدائكن بئرًا تحصلن به على الماء بسهولة .. ومغسلة تغسلن فيها الثياب حتى لاتمشين إلى النهر .. »

راحت النسوة يتناقشن فيما قالت .. فأردفت :

- « أريد أن تقررن لى موضع حفر البئر .. وموضع المغسلة .. وكيف ستكون المغسلة من الداخل .. ثم نطلب موافقة الرجال .. »

دارت المناقشات لمدة ساعتين ..

وراحت بعض النسوة يرسمن رسومًا تخطيطية للبئر والمغسلة ..

وفى المساء راحت إلى دار (مات أمين) ، وجلست معه يتحدثان ويرشفان القهوة ..

قال لها :

- « أخبرتنى زوجتى بمشاريعك .. لكن النهر كان

كريمًا مع نسائنا منذ دهر .. ولو أن لدينا بئرًا لغدت النسوة كسالى .. »

قالت (جان) :

- « لكن ستكون لديهن القوة الكافية والوقت الوافر مما سيساعدهن على القيام بأعمال أخرى أكثر أهمية .. »

قال لها :

- « سأبحث الأمر مع الرجال .. »

وفى الصباح قابل الرجال (جان) التى رسمت لهم تخطيطًا للمغسلة والبئر ..

كانت الفكرة جيدة لكنها جديدة .. وهذا ما جعلهم بطيئين فى تقبلها ..

لكنهم فى النهاية وافقوا ..

★ ★ ★

لم تكن هناك سوى أسرة واحدة يمكنها حفر آبار .. وكانت تقيم فى (كواتتان) وهى عبارة عن شيخ وولديه ..

أرسلت (جان) تطلب قدومهم ، ثم ابتاعت الأسمنت والقرميد اللازمين .. وقضت وقتها - بانتظار

حفارى الآبار ـ فى اللهو مع الأطفال ، ومعاونة النسوة فى حصد الأرز ..

جاء الحفَّارون بعد ثلاثة أسابيع ، وبدأ العمل بنشاط وهِمّة ..

أمضت (جان) وقتًا طويلاً تراقب الرجال فى أثناء عملهم .. وذات يوم سألتهم عن ذلك الأمر المفزع الذى لم تستطع نسيانه قط ..

سألت العجوز :

ـ « هل تذكر الضابط اليابانى فى (كوانتان) ؟ »

قال الشيخ :

ـ « نعم .. الكابتن (سوجامو) .. لقد كان رجلاً شريرًا ، وقد أسعدنا رحيله .. فالضابط الذى جاء بعده كان أطيب قلبًا .. »

ـ « لقد حوكم بعد الحرب ، وأعدم بسبب قسوته مع الأسرى ، أثناء مدّ الخط الحديدى إلى (بورما) .. »

قال الرجل :

ـ « لم أدر بهذا .. لكنه يستحق .. لقد قام بفظائع وقت الحرب .. »

ـ « هل تذكر تلك الفظائع ؟ »

ـ « كثيرون من الناس عُذبوا .. »

ـ « أذكر سجينًا عذبه (سوجامو) .. وكان قد ساعدنا حين كنا جياعًا ومرضى .. أمسكه اليابانيون ، وثبتوا كفيه وقدميه إلى شجرة بالمسامير .. ثم ضربوه حتى مات .. »

قال العجوز :

ـ « أذكر هذا .. لقد كان فى المستشفى ، فى (كوانتان) .. »

سألته فى ذهول :

ـ « مستشفى ؟ هل دخل المستشفى ؟ »

ثم نادى ابنيه اللذين كانا يعملان فى البئر تحته .. وسأل :

ـ « هل تذكران الإنجليزى الذى رُبط إلى شجرة وضُرب فى عام الحرب الأول ؟ هل قضى نحبه ؟ »

قال أحد الأبناء :

ـ « لم يكن إنجليزيًا .. كان أوستراليًا ، وقد ضربوه لسرقته الدجاج .. »

قال الشيخ :

ـ « نعم .. هذا حق .. دجاج أسود .. هل مات الرجل ؟ »

ـ « كلا .. لقد أمر كابتن (سوجامو) بإنزاله ليلاً .. وانتزعوا المسامير من يديه وقدميه .. كان محطمًا لكنه ظل حيًا ! »

★ ★ ★

١٥ ـ أوستراليا ..

لأول مرة منذ ستة أعوام شعرت (جان) بسرور حقيقى ..

لقد حاولت كثيرًا أن تنسى مصرع (جوهارمان) .. لكنها لم تستطع قط ..

كانت قد مالت إليه ، وأحست أنها السبب فى مصرعه ..

ومن يوم المشهد الفظيع ، لم تكف عن التعذَّب .. وحين عرفت أنه ظلَّ حيًا أفعمها الحبور ..

الآن صار لديها هدف فى حياتها ..

ستسافر إلى (أوستراليا) لتراه ..

لقد كان يعيش قرب مكان يسمى (أليس سبرنجز) .. هكذا قال ..

إنها ثرية الآن .. ويمكنها أن تسافر إليه ، ولو كان فى عسر مادى فمن السهل أن تعينه ..

لكن يجب أولاً أن تنتهى مما بدأته ..

★ ★ ★

كان عمال البناء يعملون بسرعة ، وسرعان ما انتهى الأمر ..

وجاء الجميع ليحضروا حفل الافتتاح ..

سحبت (جان) من البئر أول دلو ماء ، وذهبت به إلى المغسلة .. وحين بدأت غسل الثياب تصايح القوم وهللوا ..

وعرفت أن الهدية أسعدتهم حقًا ..

وبعد يومين ودعت أصدقاءها فى القرية .. فقالوا لها :

ـ « شكرًا يا (جان) .. نحن لن ننساك ما حيينا .. »

ـ « وأنا كذلك .. »

★ ★ ★

حين وصلت إلى (كوتا ـ بار) كانت مرهقة جدًا .. لذا دخلت الفراش على الفور ، وفى الصباح حكت للحاكم العسكرى البريطانى ما قامت به ..

قال لها :

ـ « ستطالب كل قرية بمغسلة الآن .. لقد منحتهم فكرة طيبة .. لكن ماذا عنك أنت ؟ ما هى خططك الآن ؟ »

قالت : إنها تنوى الرحيل إلى (أوستراليا) .. ستسافر إلى (كوانتان) أولاً .. علها تعرف عنه شيئًا من المستشفى ..

وبعد يومين طارت إلى (كوانتان) ..

استدعاها الربان إلى قمرته .. بينما هم يطيرون فوق (كوالا تيلانج) .. وحلق فوق ارتفاع منخفض ليسمح لها بأن ترى النساء ، والأطفال يغادرون أكواخهم ويلوحون للطائرة ..

ثم حلق الربّان مبتعدًا ، بينما عادت هى إلى مقعدها ..

★ ★ ★

كانت مجدودة الحظ فى (كوانتان) إذ قابلت امرأة كانت ممرضة فى المستشفى فى أثناء الحرب ..

قالت لها :

ـ « نعم .. أذكره .. اسمه هو (جوهارمان) .. كان مريضًا جدًا ، حين جلبوه إلى المستشفى .. وظننا أنه لن يعيش ، لكنه فعلها .. لقد قمنا بتمريضه لمدة أربعة أشهر .. »

قالت (جان) :

- « كنت واحدة من النساء اللاتى ساعدهن (جو) .. »

سألتها المرأة :

- « هل كنتِ أنتِ قائدة المجموعة ؟ »

- « نعم »

- « كان يسأل عنك .. لكن أحدًا لم يكن يعرفك .. »

سألتها (جان) :

- « وماذا حدث له ؟ »

- « أرسل إلى (سنغافورة) وصار قادرًا على المشى بعون عكازين .. وأحسبه فى خير حال الآن .. »

ثم أضافت :

- « لكنه لم يعد قادرًا على حمل الأشياء الثقيلة .. »

★ ★ ★

طارت (جان) إلى (سنغافورة) وأمضت أيامًا ترتب لرحلتها .. ورتبت مع البنك أن يُرسل لها المال فى (أليس سبرنجز) ..

فى البداية طارت إلى (داروين) .. وكانت هناك حافلة إلى (أليس سبرنجز) فى منتصف (أوستراليا) ..

كانت (داروين) مكانًا شديد الإملال .. فلا شىء

يمكن عمله ولا مكان يمكن القصد إليه .. وحين تحركت الحافلة بعد يومين سرّها أن ترحل ..

ولمدة يومين سافرت على طرقات مغبّرة ..

تذكرت ما قال لها (جو) عن وطنه الأم .. كانت الأرض حمراء ، لكن وقت الشروق كان كل شىء يكتسى بلون أرجوانى ..

فى النهاية وصلت الحافلة إلى (أليس سبرنجز) ..

حجزت حجرة فى فندق (تالبوت آدامز) .. وبعد احتساء الشاى نزلت لتتفقد المدينة ..

مشت عبر الشارع الرئيسى ، وسط صفين من المنازل ذات الحدائق .. وراحت تتأمل المحلات ..

كانت هناك دار سينما .. وحلاق .. ومتجر ثياب .. وبار لبن ..

وفهمت لماذا وصف (جو) هذا المكان بالجمال .. وأحست أنها ستحب الحياة ها هنا ..

بعد العشاء بدأت البحث عن (جو) ..

بالطبع لم تكن تريد أن تخبر القوم بسرها .. لذا أخبرت مديرة الفندق أنها تبحث عن قريب لها ..

قالت للمرأة :



مشت عبر الشارع الرئيسى ، وسط صَفَّين من المنازل ذات الحدائق .. وراحت تتأمل المحلات ..

ـ « سأبقى مع أخت لى فى (أديليد) .. وقد طلب عمى أن أجد (جو) حين آتى إلى (أليس) .. وآخر ما يعرفه عمى عنه هو أنه يعمل فى محطة لحوم دانية من هنا .. »

سألتها المرأة :

ـ ماذا كان اسمه ؟

ـ « (جو هارمان) .. »

ـ « (جو هارمان) ؟ ألم يكن يعمل فى (ووليرا) ؟ »

ـ « بلى .. هل تعرفين ما إذا كان هناك ؟ »

ـ « كلا .. لم يعد هناك .. لقد عاد بعد الحرب وبقى ستة أشهر ..

كان اليابانيون قد ربطوه فى شجرة وعذبوه .. »

هتفت (جان) :

ـ « يا للفظاعة ! ألا تعرفين أين هو ؟ »

ـ « نعم لا أعرف .. لكن قد يعرف أحد هؤلاء الرجال .. »

ونادت بعض الرجال الذين جلسوا يحتسون الجعة فى البار ..

سألتهم :

ـ « هل يعرف أحد مكان (جوهارمان) ؟ »

قال أحدهم :

ـ « نعم .. لقد عاد إلى (كوينز لاند) .. وهو الآن يدير محطة لحوم قرب الخليج .. ليست بعيدة عن (ويلزتاون) .. وأعتقد أن اسم المزرعة هو (ميدهيرست) .. »

سألته (جان) :

ـ « وأين (ويلزتاون) هذه ؟ »

ـ « إنها قرب الخليج .. شمال شرق .. حوالى مائتى ميل من هنا .. »

ـ « وكيف أصل إليها ؟ »

قالت المرأة :

ـ « يمكنك ركوب طائرة من هنا إلى (كلونكارى) .. إنها تقلع مرتين أسبوعيًا .. ومن هناك تركبين طائرة إلى (ويلزتاون) .. »

شكرتها (جان) بحرارة على عونها ..

فى اليوم التالى حجزت مقعدًا إلى (كلونكارى) ، وأرسلت لـ(جو) برقية تقول فيها إنها آتية .. وأرسلت لمحاميها خطابًا تسأله أن يرسل بعض المال إلى مصرف (ويلزتاون) ..

وانتظرت يومين فى (أليس) ..

فى هذا الوقت أحبت المدينة كثيرًا ، وأشعرها الرحيل بالأسى الشديد ..

كانت (كلونكارى) أصغر من (أليس) .. وقد ظلت هناك ليلتين قبل أن تقلع الطائرة إلى (ويلزتاون) ..

فى النهاية وصلت إلى (ويلزتاون) لتصاب بخيبة أمل .. فلم يكن (جو) هناك .. ولم يكن حتى فى (ميدهيرست) ..

لقد سافر إلى (انجلترا) ولن يعود قبل شهرين ..

★ ★ ★

١٦ ـ جوهارمان ..

الآن على (جان) أن تقرر ما ينبغى عمله ..

هل تبقى وتنتظر حتى يعود (جو) ؟

لماذا ترغب فى رؤيته ؟

لقد كانت تبرر لنفسها الأمر ، بأنها تريد الاطمئنان عليه .. وتعرف ما إذا كان بحاجة إلى عون ..

الآن هى تعرف أنه بخير ويستطيع العمل .. فهل ثمة سبب آخر يجعلها بحاجة إلى رؤيته ..

هناك سبب واضح ، هو أنها لم تلق قط شخصًا أحبته مثل (جو) .. وحينما كانت تعتبره ميتًا لم ترد أن تتزوج ..

الآن تعرف أنه حىّ وغير متزوج .. وفى قرارة نفسها كانت تتمنى أن تكون زوجته .. وعرفت أنه لن يرفض ..

وقررت أن تراه فى (ويلزتاون) ..

بقيت فى (ويلزتاون) ، وسمعت كثيرًا عن المدينة وسكانها ..

كان هناك مائة وعشرون شخصًا فيها .. وبها متجر واحد وبار واحد يبيع الجعة للرجال فقط ..

كانت مكانًا مملاً للنساء ، خاليًا من فرص العمل للبنات ، اللواتى كن يتركن البلدة بمجرد أن يكبرن نوعًا ..

وأيقنت (جان) أنها لن تكون سعيدة هاهنا ، ولو تزوجت (جو) فهى تتمنى لو تعيش فى أى مكان آخر ..

ربما يتمنى (جو) أن يرحل .. لكن المشكلة هى أن عمله ممتاز كمدير فى مزرعة (ميدهيرست) ، ومن العسير أن يجد وظيفة كهذه لو عاد إلى (أليس) أو (أديلين) ..

صارت قلقة ، وراحت تفكر فى أنها قارفت خطأ جسيمًا ..

ربما كان خيرًا لها أن تعود إلى انجلترا ..

هنا حدث شيئان جعلاها تزمع البقاء ..

★ ★ ★

أولاً : تلقت خطابًا من محاميها يقول لها إن (جو) فى انجلترا يبحث عنها ..

لقد وجد خالتها فى (ويلز) وقد أعطته عنوان محامى (جان) ..

وهو ذا (جو) الآن فى طريقه إلى (أوستراليا) ..

جعل هذا الخطاب (جان) سعيدة كما لنا أن نتصور ..

لقد قطع (جو) كل المسافة إلى إنجلترا ليجدها .. ولربما يتزوجها .. لكنها احتفظت بمقتها لـ (ويلزتاون) .. فلم تكن ترغب الحياة فيها ..

كانت ترغب الحياة فى مدينة مثل (أليس) ..

* * *

الشىء الثانى : حدث حينما جاء إلى الفندق رجل يحمل حزمة من جلود التماسيح .. وهنا واتتها فكرة لا بأس بها ..

يمكن أن تستعمل مالها لتبنى ورشة فى (ويلزتاون) .. بها تصنع أحذية من جلود التماسيح ، وتبيعها فى انجلترا ..

ستحتاج لعديد من الفتيات لتصنيع الأحذية ..

ولتكونن هذه وظيفة ملائمة للفتيات متى أنهين دراستهن ..

ربما يقنع هذا الفتيات بالإقامة فى (ويلزتاون) بعد الزواج ..

ستحتاج الفتيات إلى مكان لإنفاق المال ..

يمكنها إذن أن تفتتح بار لبن تقدم فيه (الآيس كريم) والمشروبات الخفيفة والفواكه الطازجة ..

عندها تغدو (ويلزتاون) مكانًا أجمل ..

* * *

بدأت (جان) إعداد خططها للورشة وبار اللبن .. وقضت أسبوعين فى (ويلزتاون) .. ثم اتجهت إلى (كيرنز) وكتبت ثلاثة خطابات ..

الخطاب الأول كتبته لـ (جو) ..

قالت له : إنها فى (كيرنز) وإنها تريد أن تراه ..

وأرسلت الخطاب إلى شركة الملاحة فى (تاونزفيل) ..

هكذا سيتلقى الخطاب فور وصوله إلى اليابسة ..

الخطاب الثانى لمحاميها ..

طلبت فيه أن يرسل لها خمسة آلاف جنيه إسترلينى لزوم بناء الورشة وبار اللبن ..

الخطاب الثالث لمستر (باك) فى (لندن) ..

قالت فيه : إنها تريد تصدير أحذية من جلد التمساح له .. فهل يقبل أن يبيعها لها فى (انجلترا) ؟ ويكون عميلها ..

بعد ثلاثة أسابيع وصلتها برقية من (جو) ..

سيصل إلى (أوستراليا) بالطائرة غدًا ..

★ ★ ★

شعرت بتوتر شديد .. وهرعت إلى المطار لتلقاه ..

تعرفته فورًا .. لم يكن قد تغير ، لكن خطواته كانت متصلبة نوعًا ..

لم يتعرفها هو .. ففى (الملايو) كانت ترتدى الثياب المحلية .. وكانت تختلف كثيرًا عن المرأة الجميلة الأنيقة الواقفة عند البوابة ..

نادته (جان) فتعرفها بصعوبة .. وابتسم ..

قال لها :

ـ « مرحبًا (جان) .. لقد عبرت نصف الكرة الأرضية بحثًا عنك .. »

ضحكت .. وهتفت :

ـ « هأنذا أخيرًا .. والآن اذهب وأحضر متاعك ريثما أستوقف سيارة أجرة .. »

وجلسا فى شرفة الفندق ..

سألته :

ـ « لماذا ذهبت إلى انجلترا يا (جو) ؟ »

قال لها :

ـ « لقد كسبت تذكرة اليانصيب الأولى .. هكذا حصلت على المال .. ثم عملت فى (تاونزفيل) .. هنا قابلت قائد طائرة ، هو الذى طار بك من (كوتا بارو) فى نهاية الحرب .. وأخبرنى أنك لم تتزوجى .. »

ـ « لم أفعل .. »

ـ « لم أكن أعرف .. فقد كنت دومًا تحملين رضيعًا على ذراعك .. وحسبته طفلك .. ولكن لم جئت (أوستراليا) ؟ »

حكت له عن (كوالانيلام) .. وكيف عادت إليها كى تهدى بئرًا للقرويين ، وكيف أخبرها حفار البئر بنجاة (جو) ..

عندها قررت أن تأتى لتراه ..

ثم سألته :

- « لم أمر الكابتن اليابانى جنده بإنزالك من على الشجرة ؟ »

قال لها :

- « لست متأكدًا .. كان قد جاء ليرانى فى المساء .. وسألنى ما إذا كنت أريد شيئًا قبل أن أموت .. إن رغبات المحتضرين مقدسة فى اليابان .. طُلبت منه أن يجلب لى دجاجة وزجاجة جعة .. وبعد ساعة عاد مع رجاله ، فقد عجز عن العثور على الجعة .. ولما كان قد وعدنى فإنه لم يسمح لى بالموت .. وأمر الجند أن يفكونى ويأخذونى إلى المستشفى .. »

قالت (جان) بنعومة :

- « أنا آسفة على هذا الوقت المرير .. تسعدنى عودتك .. »

- « دعينا لا نتحدث عن هذا .. كم ستبقين هنا ؟ »

قالت فى هدوء :

- « وقتًا طويلاً .. أريد أن أجعل من (ويلزتاون) مدينة مثل (أليس) »

وتزوجا بعد هذا بستة أشهر ..

عملت (جان) بجدّ حتى أنشأت الورشة ، ووافق مستر (باك) على أن يكون عميلها .. وبعد أربعة أشهر أرسلت له أول صندوق من الأحذية ..

أما بار اللبن فنجح منذ افتتاحه ..

وقبل أن ينصرم العام بنى (جو) و(جان) حمام سباحة ومحلاً لتصفيف الشعر ..

لقد تحقق حلم (جان) .. وتدريجيًا صارت (ويلزتاون) مدينة مثل (أليس) ..

وبعد ثلاثة أعوام صار فى المدينة أربعمائة نسمة ..

وبدأ القوم يتحدثون عن بناء طريق من (كيرنز) وبناء مستشفى ..

أما (جو) فظل يعمل فى المزرعة ، وتزايد عدد الماشية .. وسرعان ما اشترى المزرعة من صاحبها بما ادخره من مال ..

وعاشت (جان) فى هناءة مع زوجها وأطفالها فى المدينة التى تعلمت أن تحبها ..

مدينة مثل (أليس) .

نيفيل شوت

١٩٥٠

* * *

روايات عالمية للجيب

مكتبة متكاملة لأشهر الروايات العالمية

مدينة مثل أليس

25

العام ١٩٤٠ .. اليابان تدخل الحرب إلى جوار ألمانيا ، وتكتسح قواتها (الملايو) .. هذه قصة عن مجموعة من النساء ، والأطفال وقعوا في قبضة غزو ياباني لايرحم .. قصة عن حدود الاحتمال البشري وفظاعة الحرب وبشاعة الموت .. إنها قصة عن الحبّ الذي لا يقهره الرصاص ...

الثمن في مصر ٢٥٠
وما يعادله بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم

العدد القادم
الحزاز

